إيرين إنترادا كيلي

ERIN ENTRADA KELLY

مرحبًا أيها الكون

HELLO, UNIVERSE

مكتبة
Telegram Network

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

حائزة على ميدالية نيوبيري لأفضل
كاتب أدب أطفال أمريكي

مرحباً

أيها الكون

«مكتبة ♔ النخبة»

إيرين إنترادا كيلي
KRIN ENTRADA KELLY

مرحباً
أيها الكون
HELLO, UVIVERSE

تعريب
نور العيون حامد

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

HELLO, UNIVERSE

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من المؤلف

Erin Elizabeth Kelly

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون

Copyright © 2017 by Erin Entrada Kelly

Published by Greenwillow Books, an imprint of HarperCollins Publishers.

Published by arrangement with Pippin Properties, Inc. through Rights People, London
All rights reserved

Arabic Copyright © 2019 by Arab Scientific Publishers

الطبعة الأولى: آذار/مارس 2023 م - 1444 هـ

ردمك 978-614-01-3587-1

جميع الحقوق محفوظة للناشر:

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

إصدار
الدار العربية للعلوم ناشرون م م ح

التوزيع في المملكة العربية السعودية
دار إقـــراء للـنـشـــر

مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر
المنطقة الحرة، الشارقة
الإمارات العربية المتحدة
جوال: 585597200 971+ - داخلي: 0585597200
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون

facebook.com/ASPArabic twitter.com/ASPArabic www.aspbooks.com asparabic

تصميم الغلاف: علي القهوجي

1
الفاشل الكبير

أنهى فيرجيل ساليناس، الذي يبلغ من العمر أحد عشر عامًا صفّه السّادس في المدرسة، وتأمّل بحزن سنوات المرحلة الإعداديّة التي تنتظره مثل صفٍّ طويلٍ من الحواجز، التي تزداد طولًا وعرضًا وثقلًا أمام ساقيه الضّعيفتين النّحيلتين. لقد كان سيّئًا في الوثب فوق الحواجز، واكتشف ذلك بالطّريقة الصّعبة في حصص الرّياضة: حيث كان الفتى المنسيّ الأصغر حجمًا، الذي لا يختاره أحدٌ في فريقه إلّا عندما تنفد الخيارات.

لقد فكّر في كلّ شيءٍ، وكان يفترض أن تتملّكه السعادة في يومه الأخير من العام الدّراسيّ، وأن يجري إلى المنزل كي يرسم خططه من أجل الصّيف الجميل القادم. ولكنّه مشى، بدلًا من ذلك، منكسًا رأسه وحانيًا كتفيه مثل رياضيّ مهزومٍ، وقد شعر بخيبة الأمل مثل سندانٍ يضغط على صدره، فقد أصبح الأمر مؤكدًا: كان فيرجيل فاشلًا كبيرًا.

دخل المنزل، فوجد جدّته - التي يناديها لولا - في المطبخ تقطع حبّة مانغا. قالت من دون أن ترفع ناظريها: "أهلًا يا فيرجيلو، تعال خذ ثمرة من المانغا، لقد ابتاعت والدتك عشر ثمرات، ولا أدري ما سنفعله بها، فهي ليست فليبينية بل فنزويلية. أنا متأكّدةٌ أنّ والدتك ستشتري قبلةً من قرد إنْ خفّض سعرها".

هزّت الجدّة رأسها.

عدّل فيرجيل وضعيته كي يتجنّب لفت انتباه لولا إلى حاله، وأخذ ثمرة مانغا من وعاء الفاكهة، ولكن الجدّة عقدت حاجبيها مباشرة، وقالت: "ما الخطب؟ وما هذه النّظرة التي تعتلي

وجهك؟".

سألها فيرجيل: "أيّ نظرة؟".

أجابت لولا من دون شرحٍ، إذ فضّلت أن يفهمها الآخرون مباشرةً: "أنت تعلم ما أقصد، هل ضايقك ذلك الفتى في المدرسة مجدّدًا؟".

كانت تلك المرّة الوحيدة التي يحوز فيها ذلك الأمر أقلّ اهتمامٍ من فيرجيل الذي أجاب: "لا يا لولا، كلّ شيءٍ بخير".

أومأت لولا، وقد أدركت وجود خطبٍ ما، فهي تلاحظ أدقّ تفاصيل فيرجيل. لقد امتلكا رابطًا سرّيًا بينهما، وذلك منذ اليوم الأوّل الذي جاءت فيه من الفيليبّين كي تعيش معهم. اندفع والدا فيرجيل وأخواه التّوأم إليها صباح يوم وصولها، وأمطروها بالعناق والتّرحيب، باستثناء فيرجيل. وتلك حال أفراد أسرة ساليناس، إذ امتلكوا شخصيّاتٍ قويّة تتّقد فيها الحماسة، على عكس فيرجيل الذي يبدو مثل صنم يقف إلى جوارهم.

ضغطت لولا رؤوس أصابعها على صدغيها، ولوّحت ناحية أخوي فيرجيل الكبيرين قائلةً: "يا إلهي، سيحتلّ هذا الصّداع النّابض لحظاتي الأولى في أمريكا... هل تستطيع يا جوسيليتو أن تتعاون مع جوليوس وتجلبا حقائبي؟ أريد إلقاء التحيّة على حفيدي الأصغر". كان الأخوان طويلي القامة، ونحيلين وقويي البنية منذ ذلك الوقت.

انطلق الأخوان كعادتهما من أجل المساعدة، وقدّم والدا فيرجيل إيّاه وكأنّه لوحةٌ نادرةٌ عجزا عن فهمها.

قالت والدته: "أعرّفك إلى السّلحفاة".

أطلق والداه عليه اسم السّلحفاة؛ لأنّه يلتزم عزلته ولا يخرج من قوقعته. يتألّم فيرجيل في كلّ مرّةٍ يصفانه فيها بتلك الكلمات.

جلست لولا القرفصاء أمامه وهمست: "أنت المفضّل عندي يا فيرجيلو. أبقِ الأمر سرًّا عن أخويك"، ووضعت إصبعها على شفتيها.

مضت ستّ سنواتٍ على ذلك، ويعلم فيرجيل أنّه لا يزال المفضّل لديها مع أنّها لم تقل له ذلك مجدّدًا.

علم أنّه يستطيع الوثوق بها، وربّما سيطلعها يومًا ما على السّرّ الذي جعله فاشلًا كبيرًا، ولكن ليس الآن أو اليوم.

أخذت لولا ثمرة المانغا منه وقالت: "دعني أقطّعها من أجلك".

وقف فيرجيل إلى جوارها يراقبها، لقد كانت عجوزًا تجعّد جلد أصابعها مثل الأوراق، ولكنّها قطّعت ثمار المانغا بشكلٍ فنّي جميلٍ، وتابعت ببطءٍ كي تكسب بعض الوقت مع فيرجيل وقالت: "لقد راودني حلم ولد الصّخرة مجدّدًا ليلة أمس".

يراودها هذا الحلم نفسه من أيام، وكان نفسه دائمًا: إنّه حلم عن ولدٍ خجولٍ يشبه فيرجيل، يغدو وحيدًا تمامًا، ويشقّ طريقه في الغابة، ويتوسّل إحدى الصّخور أن تتناوله. فتحت أكبر صخرة فمها الخشن، وقفز الولد إلى داخله، من دون أن يراه أحدٌ مجدّدًا. وجد والداه الصّخرة، ولكنّهما وقفا عاجزين أمامها، إذ لم يعد في اليد حيلة. ولكن فيرجيل أدرك في نفسه أنّ لولا ستفعل المستحيل من أجل إخراجه في حال تناولته صخرة، وإن اضطرّت أن تحفر فيها مستخدمةً إزميلًا، على عكس والديه اللذين عجز عن تحديد ما سيبذلانه من أجله.

قال فيرجيل: "أعدك ألّا أقفز داخل أيّ صخرةٍ".

أجابت لولا: "أنا أعلم بوجود خطبٍ ما يا بنيّ، إذ يشبه وجهك وجه فريدريكو الحزين".

قال فيرجيل: "من هو فريدريكو الحزين؟".

أجابت لولا: "لقد كان ملكًا شابًّا وكان حزينًا دائمًا، ولكنّه أراد إخفاء حزنه عن الجميع كي يعتقدوا أنّه ملكٌ قويّ، حتّى جاء اليوم الذي انهار فيه أمام أحزانه، فانهمرت دموعه من دون هوادةٍ مثل النّافورة". وحرّكت لولا يديها إلى أعلى كي تمثّل مشهد المياه المتطايرة، ممسكةً السّكين في إحداهما وتابعت: "لقد بكى كثيرًا حتّى أغرقت دموعه الأرض، وتباعدت الجزر بعضها عن بعض، وانتهى به الأمر محتجزًا وحده على جزيرةٍ حتّى جاء تمساحٌ وتناوله"، ثمّ ناولت فيرجيل شريحةً شهية من المانغا.

أخذها فيرجيل وقال: "هل أستطيع طرح سؤال عليك يا لولا؟".

أجابت لولا: "بالطبع، اسأل ما تشاء".

قال فيرجيل: "لماذا تحتوي قصصك جميعها على أشياءٍ تتناول الفتيان مثل الصّخور أو التّماسيح؟".

وضعت لولا السّكين في المغسلة، ورفعت حاجبيها الرّفيعين وقالت: "ليسوا فتيانًا دومًا، فقد يكن فتيات في بعض الأحيان. إذا أردت، يمكنك أن تخبرني بما يزعجك، ولكن لا تنفجر مثل النّافورة وتنعزل بعيدًا".

قال فيرجيل: "حسنًا، سأذهب إلى غرفتي من أجل الاطمئنان على جوليفير وأتأكّد أنّه بخير".

كان جوليفير خنزيره الغينيّ[1] الذي أسعدته رؤية فيرجيل دومًا، فهو يسقسق فور أن يفتح الأخير باب الغرفة. لعلّ رؤية جوليفير ستريح فيرجيل مما يشعر به من فشل.

صاحت لولا في الوقت الذي اتجه فيه فيرجيل إلى غرفته: "ولماذا لن يكون بخير؟ لا أعتقد أنّ الخنازير الغينيّة تورّط نفسها في مشاكل كثيرة يا بني".

تناهت ضحكات لولا إلى مسامع فيرجيل وهو يتناول شريحة المانغا.

2
فالنسيا

أنا أشعر بالأمان عند معرفتي بوجود أحدٍ يستمع إليّ.

أتحدّث إلى القدّيس رين غالبًا. إنّ اسمه الحقيقيّ ريناتوس غوبيل، وقد كان مبشّرًا فرنسيًّا سافر إلى كندا، ورسم خلال إقامته هناك إشارة على رأس أحد الأطفال، واعتقد النّاس أنّه يلقي سحرًا عليه، فسجنوه وقتلوه.

لقد قرأت ذلك في كتابٍ اسمه *مشاهير صمٌّ من التّاريخ*، أهدتني إيّاه فتاةٌ تدعى روبيرتا يوم عيد ميلادي العاشر، ولكن لم يسبق أن أهديتها كتابًا عن *مشاهير شقر في التّاريخ*، أو *مشاهير كثيري الكلام*، أو *مشاهير يغشّون من ورقة الإملاء خاصّتي*، إذ يتجلّى كلّ ما سبق فيها. ولكن رُبّ ضارّةٍ نافعةٍ، حيث تعرّفت إلى القدّيس رين في هذا الكتاب.

لا أعرف لغة الإشارة، ولكنني تعلّمت وحدي أحرفها الأبجديّة، وابتكرت إشارةً تعني اسم القدّيس رين، حيث أضع إصبعي الوسطى فوق سبابتي ويعني ذلك حرف أر - R في اللّغة الإنكليزيّة، ثمّ أنقر ثلاث نقراتٍ خفيفةٍ على شفتيّ. كان ذلك أوّل شيءٍ أفعله ليلًا بعد إزالة سمّاعتي، ثمّ أتأمّل السّقف، وأتخيّل صلواتي تحلّق عاليًا جدًّا، وتحوم فوق السّرير حتّى تصل إلى السّماء، ثمّ تحطّ على إحدى الغيوم، وتنتظر هناك إجابتها.

اعتقدت في صغري أنّ الغيمة ستصبح أثقل مع مرور الوقت، وستنهمر صلواتي منها، وأحصل على كلّ ما تمنّيته. لقد بلغت الحادية عشرة، وأدرك أنّ ذلك محض خيال، ولكنني ما زلت أتخيّلها تُحلّق إلى أعلى، فلا ضير في ذلك.

أنا أصلّي ليلًا، إذ يخيّم الظّلام والسّكون على كلّ شيءٍ، وأملك وقتًا طويلًا من أجل التّفكير، حيث تجرّ كلّ فكرة أخرى، وهكذا حتّى تُصبح السّاعة الثّانية بعد منتصف الليل من دون أن يغمض لي جفن، أو ربّما أسترق بعض النّوم من دون أن يكفيني.

لقد كرهت اللّيل، ولكنني لا أكرهه دائمًا، إذ تعودت في بعض الأوقات أن أغفو من دون مشاكل.

إنّ الظّلام بريءٌ من مشكلتي فهو لم يزعجني. اصطحبني والداي مرّةً إلى مكانٍ يدعى كريستال كافرنس[2]، حيث تنزل تحت الأرض وتعجز عن رؤية يدك أمام وجهك. لم أخف أبدًا، بل أحببت المكان، وشعرت بأنني من الكشّافة. أحضر أبي نصف كرة زجاجية من أجلي كتذكارٍ عن رحلتنا، ولكنّها احتوت خفافيش بدلًا من الثّلج. أحتفظ بها إلى جواري على منضدة السّرير، وأرجّها قبل الخلود إلى النّوم ولا أعرف سبب قيامي بذلك.

إنّ الكوابيس هي ما يحول دون نومي، وليس الظّلام، وأراها كالتّالي: أجد نفسي واقفةً في حقلٍ شاسع، وقد استحال العشب أصفر وبنيًّا تحت قدميّ، وقد أحاطت بي حشودٌ غفيرةٌ من النّاس الذين لم ألتقهم في حياة الحقيقية، ولكن نسختي التي في الكابوس تعرفهم. أراهم ينظرون إليّ بعيونهم السّود المدوّرة التي تخلو من اللّون الأبيض، ثمّ تخطو فتاةٌ ترتدي ثوبًا أزرق نحوي بعيدًا عن النّاس، وتقول كلمتين: "كسوف الشّمس". أفهم كلماتها من دون استعمال سمّاعاتي، ومن دون أن تحرّك شفتيها. هذه حال الأحلام أحيانًا.

تشير الفتاة إلى السّماء.

فأنظر إلى حيث أشارت في الأعلى، وأراقب بانتباه من دون أن يعتريني الخوف، وهذا ما يفعله كلّ من حولي. نراقب حركة القمر وتموضعه أمام الشّمس، فتستحيل السّماء الزّرقاء البرّاقة رماديّةً ثمّ سوداء، وينتابني في الحلم شعور أنّ ذلك أجمل ما رأته عيناي.

أتعجّب من آليّة عمل الكوابيس.

تدرك نفسي في الكابوس أنّ الأمور ستتخذ منحىً سيّئًا. تندفع الدّماء عبر أُذنيّ فور انتهاء الكسوف، ويغطّي العرق راحتي يديّ، فأشيح ناظريّ ببطءٍ شديدٍ عن السّماء إلى الأسفل. لا أرغب

في رؤية ما ينتظرني، وأجد أنّ الجميع قد اختفوا كما توقّعت، حتّى الفتاة ذات الثّوب الأزرق. ويقبع كلّ شيءٍ من دون حراكٍ، ويشمل ذلك كلّ عشبةٍ في الحقل الذي يمتدّ أميالًا كثيرةً. لقد سحب القمر الجميع إلا أنا.

أنا الشّخص الوحيد الذي بقي على وجه الأرض.

***

أعجز عن معرفة الوقت تمامًا، ولكنني أعلم أنّه متأخّرٌ، وقد تجاوز منتصف اللّيل. أبذل قصارى جهدي كي أتجنّب التّفكير في الكابوس، وها هو يحتلّ أفكاري وأنا مستلقيةٌ في السّرير. رججت كرة الخفافيش الزّجاجيّة، وراقبت الخفافيش تتطاير داخلها، ثمّ حاولت التّركيز على طلاء سقف غرفتي الذي يسمّيه والدي طلاء الفشار. تعودت في صغري أن أتخيّل معه أنّ السّقف مصنوعٌ من الفشار حقًّا، ويفتح كلّ منّا فمه من أجل تناول الفشار عندما يسقط من السّقف.

قال والدي: "سأصنع سقفًا من عرق السّوس في المرّة القادمة"، لقد أحبّ قول إنّه يفضّل منتجات تويزلرز[3]، عندها كنت أهزّ رأسي وأقول: "الشّوكولا ثمّ الشّوكولا ثمّ الشّوكولا".

تعودنا فعل ذلك دومًا، ولكننا لم نعد نفعل ذلك الآن.

أعتقد أنّ والدي يجهل كيف يكون والد فتاةٍ في الحادية عشرة من عمرها، فلا يعود بوسعه حملها على كتفيه، خاصّةً إن كانت على أبواب البلوغ وطولها مترٌ ونصف تقريبًا، ولا يستطيع إعداد كوبٍ من الشّوكولا السّاخنة، وانتظار سانتا كلوز معها أو قراءة الكتب المصوّرة.

ولكن أسعدني تذكّر سقف الفشار وعرق السّوس والشّوكولا، فذلك أفضل من التّفكير في الكابوس.

أغمضتُ عينيّ، وسلّمت وجنتيّ إلى نسيم مروحة السّقف. قطعت وعدًا على نفسي أن أطلب المساعدة من أحدهم إن راودني الكابوس تلك اللّيلة، لا أدري من سيكون هذا الشّخص، ولكنّه بالتأكيد لن يكون والدتي.

لا تسئ فهمي، فوالدتي شخصٌ يسهل الحديث معه أحيانًا، وأشعر بأنّها صديقتي في حال كان مزاجها جيّدًا، ولكنني لا أستطيع أن أجزم أيّ وجهٍ سأصادف عندما ألجأ إليها. تبالغ أحيانًا في حمايتي

والتّسلّط عليّ، كما تبالغ في كلّ شيءٍ آخر. ذات مرّة سألتها بصراحةٍ إن كانت تتعمّد معاملتي على هذا النّحو لأنني صمّاء، إذ يبدو الأمر كذلك في بعض الأحيان.

أجابتني: "أنا أبالغ في حمايتك لأنني والدتك، وليس لأنّك صمّاء".

أنا أجيد قراءة الشّفاه والعيون، وقد أخبرني شيءٌ في عينيها أنها لا تقول الحقيقة كاملةً وأنّها تخفي شيئًا.

أرفض تمامًا إخبار والدتي عن الكابوس، لأنّها ستواظب على سؤالي عنه في كلّ صباحٍ وكلّ مساءٍ وستصرّ أن أراجع طبيبًا نفسيًّا.

ولعلّ ذلك أمرٌ جيّدٌ، وقد أنام قليلًا بفضله.

أغمضت عينيّ.

فكّري في شيءٍ جميل.

سأفكّر في الصّيف القادم، إذ انتهى فصل المدرسة السّادس، وأصبح الصّيف الجميل الكسول على الأبواب. وماذا في الأمر إن كنت لا أملك مليار صديق كي أتسكّع معهم؟ سأستمتع في عالمي الخاصّ، وأكتشف الغابات، وأسجّل الملاحظات في يومياتي الخاصة بعالم الحيوان، وربّما سأرسم بعض الطّيور.

هناك أشياء كثيرة كي أفعلها.

لا أحتاج إلى مليار صديق.

لا أحتاج إلى أيّ صديقٍ.

لا أحتاج سوى إلى نفسي، أليس كذلك؟

إنّ الوحدة أمر جيد.

فهي تقلل من المشاكل.

3
مساعدةٌ من طبيعةٍ مختلفةٍ

كان جوليفير صديقًا جيّدًا مع أنّه خنزيرٌ غينيّ، إذ استطاع فيرجيل أن يبوح له بكلّ شيءٍ من دون سماع أيّ أحكامٍ، وهذا ما كان يحتاج إليه فيرجيل.

احتاج مساعدةً من طبيعةٍ مختلفةٍ.

قصّت عليه لولا مرّةً حكايةً امرأةٍ تدعى ديابان، تملّكها الجوع سبع سنواتٍ لأنّها لم تعرف كيفيّة الحصول على الطّعام. بكت ديابان ذات يومٍ لأنّ جلّ ما أرادته حفنةٌ من الأرزّ وقرن من البازلّاء، أو أيّ شيءٍ تسدّ به رمقها. اغتسلت في النّبع كي تمسح دموعها، فتراءت أمامها روحٌ عظيمةٌ، وأعطتها ملء ذراعيها من قصب السّكّر والأرز، وعلّمتها كيفيّة زراعتها والحصول على مزيدٍ منها، ومنذ ذلك الحين بقيت معدة ديابان ممتلئةً إلى الأبد.

تمنّى فيرجيل وجود روحٍ عظيمةٍ تخبره ما الذي يجب عليه القيام به، ولكن لم يكن لديه أحد سوى كاوري تاناكا.

أطعم فيرجيل جوليفير وأرسل في طريقه لتناول الفطور رسالةً نصّيةً إلى كاوري. أشارت السّاعة إلى الثّامنة إلّا ربعًا، وهو في العادة لا يراسل أحدًا في مثل هذا الوقت، ولكن كاوري ليست شخصًا عاديًّا، وهي تبدو مستيقظة طوال الوقت.

أريد موعدًا بعد ظهر اليوم

إن أمكن.

وضع فيرجيل هاتفه في جيب لباس نومه، وتبع أصوات والديه وأخويه التي يعرفها جيّدًا؛ لقد اعتادوا الاستيقاظ باكرًا نظرًا لوجود سلسلةٍ لا متناهيةٍ من تمارين كرة القدم.

جلس أفراد الأسرة في المطبخ يشربون عصير البرتقال، وقد اتّقدت فيهم الحماسة التي حاول فيرجيل تجنّب الخوض فيها من أجل الحصول على بعض الفاكهة أو إعداد بيضةٍ مسلوقةٍ.

قال جوسيليتو: "صباح الخير يا فيرجيلو".

قال والداه في صوتٍ واحدٍ تقريبًا: "صباح الخير أيّها السّلحفاة".

ثمّ قال جوليوس: "صباح الخير يا أخي الصّغير".

تمتم فيرجيل شيئًا يشبه كلمة مرحبًا.

جلس أفراد الأسرة على كراسٍ عالية الظّهر حول طاولة المطبخ، في حين جلست لولا إلى مائدة الفطور تقرأ صحيفةً، وقالت من دون أن ترفع عينيها عنها: "لقد أحضرت والدتك كثيرًا من الكليمونتين، ولذلك تستطيع تناول قدر ما تشاء منه".

وأصدرت صوتًا بلسانها لتُعبّر عن استيائها من هذا الإسراف. حمل فيرجيل ثمرة كليمونتين في كلّ يدٍ، وحاول جاهدًا أن يتجنّب إسقاطها، وجلس إلى جوار لولا، في غضون ذلك اهتزّ هاتفه في جيبه.

سألها فيرجيل: "ماذا تقرأين يا لولا؟"، ورتّب ثمرتي الكليمونتين في خطٍّ مستقيمٍ تمامًا أمامه، ثمّ تفقّد هاتفه.

بإمكاني مقابلتك، تعال عند

السّاعة الثّانية عشرة تمامًا.

وضع فيرجيل هاتفه مقلوبًا على الطّاولة إلى جوار ثمرتي الكليمونتين.

قالت لولا: "أنا أقرأ عن الموت والدّمار المنتشر في كلّ مكان في هذا العالم".

التفت جوليوس إليهما وقال: "لا تكوني متشائمةً يا لولا".

لطالما شك فيرجيل في أنّ أخويه نتاج معملٍ خاصٍّ يصنع الأولاد المثاليين الرّياضيين السّعداء دومًا، وأنّه نتاج جمع مخلّفات هذا المعمل. لقد لفت نظره شيءٌ في أصابع الخنصر في أيدي أخويه، والتي كانت منحرفةً قليلًا إلى الدّاخل. راقب فيرجيل حركة يديه عندما قشّر ثمرة كليمونتين، ووجد أن أصابعه طويلةٌ ونحيلة ولا ينحرف أيّ منها نحو الدّاخل.

قال فيرجيل: "ماذا تعرفين عن الأيدي يا لولا؟"، ونظر إلى أخويه اللّذين شغلهما الحديث عن كرة القدم، إذ انضمّ والدهما مؤخّرًا إلى دوري البالغين في كرة قدمٍ. لقد أحبّوا جميعًا هذه الرّياضة كثيرًا باستثناء فيرجيل.

وضعت لولا الصّحيفة جانبًا وقالت: "أعلم أنّ كلّ يدٍ تمتلك خمسة أصابع غالبًا".

سأل فيرجيل: "ماذا تقصدين بقولك *غالبًا*؟".

أجابت لولا: "لقد ولدت فتاةٌ في قريتي مع إبهامٍ إضافيّ".

قال فيرجيل: "حقًّا؟ وماذا فعلت أسرتها حيال ذلك؟ هل راجعت الطّبيب لإزالته؟".

قالت لولا: "لا، إذ عجزت أسرتها عن تحمّل تكاليف الطّبيب بسبب الفقر".

سأل فيرجيل: "وماذا فعلوا إذًا؟".

أجابت لولا: "أبقوا على الإبهام الإضافي، ماذا تودّ أن تسأل أيضًا؟".

قال فيرجيل: "ألم تشعر وكأنّها غريبة المظهر؟".

أجابت لولا: "ربّما شعرت بذلك، ولكنني أخبرتها أن هناك غاية من منحك إبهامًا إضافيًّا".

قال فيرجيل: "لعلّه أُريد لها أن تكون ماهرةً في إيقاف السّيارات".

قالت لولا: "ربّما، ولعلّها مثل روبي سان سالفادور".

سأل فيرجيل: "من هي روبي سان سالفادور؟".

أجابت لولا: "إنّها فتاةٌ أخرى من قريتي، لديها سبع أخواتٍ. تعودت أسرتها قراءة طالع كلّ واحدة منهن بعد ولادتها، وسار الأمر جيّدًا حتّى وصلوا إلى روبي سان سالفادور، إذ عجز الجميع عن قراءة مستقبلها من دون أن يدري أحدٌ معنى ذلك. كانت تسير في الأرجاء وتتساءل طوال الوقت: "ما هو مستقبلي؟"، فأخبرتها في نهاية المطاف: *لا أحد يعلم، ولكنّك تدفعيننا جميعًا إلى الجنون*".

فكّر فيرجيل في روبي سان سالفادور المسكينة التي شاهدت أخواتها يحصلن على شيءٍ عجزت عن الحصول عليه.

سأل فيرجيل: "ماذا حدث بعدها؟".

قالت لولا قبل أن تحدّق إلى فيرجيل: "لقد رحلت عن القرية بحثًا عن مستقبلها، وغدت القرية أهدأ من ذي قبل بعد غياب أسئلتها... أخبرني ما الذي ترمي إليه يا فيرجيل؟ لماذا تسأل عن الأيدي من دون جميع الأمور الأخرى في العالم؟".

أجاب فيرجيل: "لاحظت أنّ أصابعي جميلةٌ ومستقيمة، هذا كلّ ما في الأمر، ما رأيك؟".

وأزاح قشور الكليمونتين جانبًا، ثمّ وضع يديه على الطّاولة.

أومأت لولا وقالت: "أجل، أنت تمتلك يدين جميلتين مثل يديّ عازف بيانو موهوب. يجب أن تتعلّم العزف على البيانو"، ثمّ نادت **لي**، والدة فيرجيل.

توقفت **لي** عن الضحك وسألت: "نعم، يا أمّي؟"، لقد كانت **لي** دائمة الضّحك.

قالت لولا: "كيف لم يخطر في بالنا أن يتعلّم فيرجيل العزف على البيانو؟ فهو يمتلك يديّ عازف بيانو".

لكن والد فيرجيل أجاب بدلًا عنها: "يجب على الفتيان أن يمارسوا الرّياضة، وألّا يهدروا وقتهم في أمورٍ سخيفةٍ كالعزف على البيانو، أليس كذلك أيّها السّلحفاة؟".

وضع فيرجيل نصف ثمرة الكليمونتين في فمه.

رفع السّيد ساليناس كأس عصير البرتقال وقال: "يحتاج فيرجيل إلى تقوية عضلاته".

أنعمت لولا النّظر إلى يدي فيرجيل وهزّت رأسها وتمتمت: "يا إلهي، يجب أن تعزف على البيانو، إذ يمكنك بواسطة هذه الأصابع أن تعزف في ماديسون سكوير غاردن من دون أدنى شكّ".

قال فيرجيل وقد تشوّش صوته بسبب امتلاء فمه بالفاكهة: "لعلّي سأتعلّم العزف على البيانو".

قالت لولا قبل أن تلتفت كي تتفحّص وجهه: "أجل، أجل، إنّها فكرةٌ جيّدة... هل تحسّنت اليوم يا بني؟".

ابتلع فيرجيل الكليمونتين، وأومأ بالإيجاب.

قالت لولا: "حسنًا، كيف حال حيوانك الأليف؟".

أجاب فيرجيل: "إنّه بخير، ولكنني قرأت البارحة على الإنترنت أنّه يجب أن يكون للخنزير الغيني رفيق لأن الخنازير الغينيّة حيواناتٌ اجتماعيّةٌ جدًّا".

سألت لولا: "وماذا في ذلك؟".

قال فيرجيل: "يعيش جوليفير وحيدًا".

قالت لولا: "هل هذا ما يزعجك؟".

إنّ جوليفير بريءٌ تمامًا من فشله الكبير. يتجنّب فيرجيل، في العادة، أن يكذب، ولكنّه وجد في هذه الحال تطبيقًا للمثل الشّعبي الذي يفيد قتل عصفورين بحجرٍ واحد (أو كما تفضّل كاوري قوله: إطعام عصفورين بذرةً واحدةً). لعلّه سيحصل بعدها على خنزيرٍ غينيّ آخر وتتوقّف لولا عن سؤاله عن سبب حزنه.

ولذلك أجاب: "أجل".

أومأت لولا من دون أن تدرك سبب رغبة أحدهم في اقتناء خنزيرٍ غيني، ولكنّها تعلم ماهيّة شعور الوحدة.

قالت: "سأتحدّث إلى والدتك بهذا الشأن".

4
أجراس المعبد البوذيّ

كانت كاوري تاناكا ذات الاثني عشر عامًا فتاةً متغطرسةً من برج الجوزاء، وقد أحبّت إخبار النّاس أنّ والديها ينحدران من إحدى قرى السّاموراي التي تتربّع في أعالي الجبال الغامضة. ولكنّهما في الحقيقة أمريكيّان يابانيّان من الجيل الثّاني من ولاية أوهايو. تيقّنت كاوري تمامًا أنّه قُدر لهما أن يولدا في الجبال، ولكن النّاس يولدون أحيانًا في المكان الخطأ، وإلّا كيف تمكنت من تفسير قوى الحاسّة السّادسة الخاصة بها، والتي تنشأ من مكانٍ سحريّ فقط؟

فوجئت كاوري قليلًا عندما تلقّت رسالةً من أحد زبائنها (زبونها الوحيد في الحقيقة) في أوّل أيّام الصّيف وفي السّاعة الثّامنة إلّا ربعٍ تحديدًا. لقد راودتها رؤيا في اللّيلة السّابقة خلال محاولتها الخلود إلى النّوم، إذ رأت نمرًا يجلس على سورٍ ضخم. ولكنّها أدركت أنّه فهدٌ وليس نمرًا، حيث تبدأ كلمة فهد بحرف الفاء، وكذلك اسم فيرجيل. لا يمكن للترابط أن يكون أكثر وضوحًا من ذلك.

كانت مستيقظة وقت وصول الرّسالة، فهي ممن يعتقدون بضرورة الاستيقاظ مع بزوغ الفجر قدر الإمكان. أمسكت هاتفها مباشرةً فور سماع نغمة تنبيه الرّسائل الخاصة بها، والتي كانت صوت أجراس المعبد البوذيّ، وقرأت رسالة فيرجيل.

قالت كاوري وهي في سريرها: "لا بدّ أنّه أمرٌ طارئ".

أحبّت التحدث بصوتٍ عالٍ عندما تكون وحدها كي تستمع إليها الأرواح التي تكون بجوارها.

أجابت على رسالة فيرجيل، وأشعلت عود بخّورٍ، ومشت على بساط غرفتها الذي رسمت عليه دائرة الأبراج، وخرجت إلى الرّواق. طرقت بلطفٍ باب غرفة نوم أختها الصّغرى. في ذلك الوقت كان الجميع نيامًا، وخاصّةً جين ذات السّنوات السّبع، وهي من مواليد برج السّرطان الذين يكرهون فترة الصّباح، فهم كائناتٌ ليليّة، وهي إحدى السّمات السّيئة التي تميّزهم.

قالت كاوري: "لن يجدي طرق الباب نفعًا".

لذلك فتحت الباب وأغاظها مجدّدًا اللّون الورديّ الفاقع الذي يغطّي أثاث الغرفة، انطلاقًا من خزانة الملابس، إلى السّتائر، والبساط، والوسادة، واللّحاف. لقد كانت غرفةً مثاليّةً من أجل فتاةٍ في الصّف الثّاني في المدرسة، وأكّدت ذلك دمى الدّب المرميّة على الأرضيّة، بالإضافة إلى الأكواب والأباريق البلاستيكيّة المتناثرة في الأرجاء، والتي عكست طبيعة جين الفوضويّة تمامًا. أحبّت جين تجربة الأمور جميعها، إذ صمّمت أن تصبح بطلةً في شيءٍ ما، يومًا ما. مارست الحجلة، ثمّ لعبة أعمدة القرود[4]، ثمّ الدّاما. وجدت كاوري آلة ريكوردر[5] مرميّةً على الأرض، فأرادت إتقان العزف عليها، بالإضافة إلى كتابٍ عن أبرهام لينكولن يعود للفترة التي قرّرت فيها أن تصبح مؤرّخةً هاوية.

وجدت كاوري حبل قفزٍ ملفوفًا مثل الثّعبان مرميًّا قرب قائمة السّرير الصّغير الذي يشبه سريرها، وكان ذلك الدّليل على آخر وساوسها.

خاطبت كاوري الأرواح قائلةً: "ستنضج جين يومًا ما"، وتوجهت صوب أختها، وركلت حبل القفز مبعدةً إيّاه عن طريقها، ثمّ تنهّدت منزعجة. لقد واظبت جين على القفز بالحبل يوميًّا طيلة أسبوعٍ في أرجاء المنزل، مثيرةً غضب الجميع، وكسرت خلال ممارساتها هذه ثلاث كؤوسٍ زجاجيّة.

دفعت كاوري كتف أختها وقالت: "استيقظي يا جين، سيأتي زبون اليوم، ويجب أن نستعدّ من أجله".

رفرفت أجفان جين من دون أن تنفتح.

دفعت كاوري كتف جين بقوّةٍ أكبر وقالت: "استيقظي يا جين".

تذمّرت جين التي ارتدت ملابس نومٍ طبعت عليها صورة أرنب، ووضعت اللّحاف فوق رأسها.

مسحت كاوري على مقدّمة ملابس نومها السّوداء التي احتوت زخارف حمراء وقالت: "حسنًا، سأحضّر حجارة الأرواح وحدي".

نهضت جين مبعدة أغطيتها، وتطايرت خصلات شعرها الأسود في كلّ اتّجاهٍ، واتّسعت عيناها وقالت: "هل ستستعملين حجارة الأرواح؟".

أجابت كاوري: "راودني إحساسٍ أنني سأحتاج إليها، ولكن إن كان النّوم يعيقك...".

قالت جين: "حسنًا، حسنًا سأنهض".

قالت كاوري: "سأراك في غرفة الأرواح... ولكن تخلّصي من هذه الأرانب أوّلًا"، وأشارت إلى ملابس نوم جين.

5
السّلحفاة

قال فيرجيل الحقيقة بخصوص الخنازير الغينيّة، إذ لا يجب أن تعيش وحيدةً. وقد تمنّى لو أنّه بقي جاهلًا هذه المعلومة، حيث يعتقد الآن أنّ جوليفير يعاني من الكآبة. لقد عاش القارض المسكين ذو الفراء الأسود والأبيض الأشهر الثّمانية عشر الماضية وحيدًا، وعجز فيرجيل عن التّفكير إلّا في أنّه، وهو أيضًا، يقضي ساعاتٍ مؤلمةً من الوحدة الشّديدة.

أفرغ فيرجيل محتوى حقيبة ظهره قبل موعده مع كاوري ووضع فيها ملاءاتٍ صوفيّةً أخذها خلسةً من خزانة الملابس، ثمّ وضع جوليفير في الحقيبة، وبذلك سيذهبان معًا إلى منزل أسرة تاناكا من دون أن يبقى أحدهما وحيدًا.

التزم جوليفير الصّمت عندما أخرجه فيرجيل من قفصه، وهذا ما أشار إلى استيائه وبؤسه.

نظر فيرجيل إلى عيني جوليفير المدوّرين السّوداوين الصّغيرين وقال: "لم يخبرني صاحب متجر الحيوانات الأليفة أنّ الخنازير الغينيّة حيواناتٌ اجتماعيّة، أنا آسف"، ثمّ وضعه أعلى الملاءات، وأغلق سحّاب حقيبته، وتعمّد ترك جزءٍ صغيرٍ مفتوحٍ كي يستطيع جوليفير التّنفّس.

قال فيرجيل: "لعلّك ستتحسّن الآن، فأنا أعرف مقدار معاناتك". لقد قرّب فشل فيرجيل الكبير ما بين روحيهما.

تأكّد من سلامة جوليفير، ثمّ حمل الحقيبة على ظهره.

تعمل والدة فيرجيل في المناوبة اللّيليّة في المستشفى أيام الخميس، وكان اليوم خميسًا، ورآها مستلقيةً على الأريكة تشاهد التّلفاز. خاب أمل فيرجيل، حيث أراد الذّهاب خلسةً من الباب الأماميّ من دون أن يتحدث إلى أيّ واحد من والديه.

يا له من حظٍّ سيئ.

سألته والدته: "إلى أينّ أنت ذاهبٌ أيّها السّلحفاة؟".

شعر فيرجيل بأنّ هذا اللّقب يشبه لقب المتخلّف عقليًّا الذي يطلقه عليه تشيت بولينس في المدرسة. إنه يعرف أنّ والديه ليسا تشيت بولينس، ولكنّهما يسخران من خجله، مثل تشيت بولينس تمامًا، الذي يسخر من جهل فيرجيل لجدول الضرب مع أنه يبلغ الحادية عشرة من العمر.

هل يعلمان كم يكره هذا اللّقب؟

تمتم فيرجيل: "سأذهب إلى منزل كاوري".

تعرف السّيدة ساليانس والسّيدة تاناكا بعضهما من المستشفى، فهما تعملان ممرّضتين هناك.

قالت له: "خذ ثمرة مانغا من أجلها، وأخبرها أن تتناولها عندما تنضج".

أسرع فيرجيل إلى المطبخ مدركًا أنّ الوقت ينفد منه وخطف ثمرة مانغا من وعاء الفاكهة. اشتكت لولا خلال الأيّام الثّلاثة الماضية من شراء والدته الفاكهة، ولذلك تحاول الأخيرة إثبات أنّها غير مسرفةٍ عن طريق استهلاك ثمار المانغا والكليمونتين بشكلٍ مدروس.

ما إن أدار فيرجيل مقبض الباب حتى قالت والدته: "لا تبتعد كثيرًا أيّها السّلحفاة، وتوخَّ الحذر. أحبّك".

فتح فيرجيل الباب قليلًا، وقال بتردد: "أمي؟".

سألته: "ماذا؟".

أراد أن يقول:

"لا تناديني بهذا الاسم مجدّدًا.

أشعر وكأنني في السّادسة من عمري.

أشعر بأنني فاشلٌ في كلّ مرةٍ أسمعه".

ولكنّه قال: "وأنا أحبّك أيضًا".

وخرج يمشي تحت أشعة الشّمس الدّافئة.

6
نمر شارع إلم

تقطن أسرة تاناكا في منزلٍ عاديّ يحمل الرّقم 1401 في شارع ميبل على الطّرف المقابل من غابات التّلال الكثيفة. لم يكن بعيدًا بالنسبة إلى فيرجيل؛ إذ يستطيع المشي عبر الغابة قاطعًا شوارع إلم وآش وفويلا، وصولًا إلى كاوري بسهولة. ولكن زاد القدر (أو ربّما الحظّ السيئ في نظر فيرجيل) من صعوبة الأمر عن طريق وضعه منزل تشيت بولينس مباشرةً على الطّريق إلى منزل أسرة تاكانا، فضلًا عن ممارسة تشيت الملقّب بالثّور كرة السّلة معظم الأوقات أمام مدخل منزله.

اشتكى والدا فيرجيل حول قضاء أطفال الجيل الجديد وقتهم كلّه في ألعاب الفيديو من دون الخروج من المنزل، ولكنّ ذلك لا ينطبق على الثّور الذي يجول في شارع إلم مثل نمرٍ طليق.

لقّبه فيرجيل بالثّور لأنه يشبه الثّور فعلًا، إذ كان هائجًا دومًا ومستعدًّا للانقضاض على فيرجيل ونعته بالمتخلّف أو المنحرف. في بعض الأحيان، شعر فيرجيل أنّ الدّخان سيخرج من منخريه.

سيتوجب على فيرجيل تجاوز عددٍ من المباني كي يبتعد عن شارع إلم، مضيفًا بذلك بضع دقائق إلى رحلته، ولكن ماذا يمكنه أن يفعل؟ خرج من الغابة ووقف مقابل شارع إلم وانحرف إلى اليسار مباشرةً، رغم أنّ منزل كاوري إلى اليمين على بعد مبنىً واحدٍ فقط.

مشى مطأطئًا رأسه وممسكًا حزامي حقيبة ظهره.

قال في نفسه: "*تابع المسير، والتفت إلى اليمين عند الوصول إلى المنزل ذي الباب الأخضر عند الناصية*".

اعتقد فيرجيل أنّه إذا تجنّب النّظر إلى أيّ شيءٍ حوله فسيصل إلى وجهته من دون أن يلاحظه أحد.

ولكن خطّته فشلت، إذ سمع صوتًا بعيدًا من الخلف يناديه: "مهلًا أيّها المتخلّف".

ولكن هذا البعد كان عديم الجدوى، إذ يستطيع الثّور تقليص المسافة بينهما بسرعةٍ كبيرةٍ جدًّا.

خفق قلب فيرجيل بشدّة.

لم تكن خطّة الالتفاف عند المنزل ذي الباب الأخضر آمنةً تمامًا، إذ اعتاد تشيت التّجوال في الأرجاء أحيانًا حاملًا كرة السّلة بين يديه الثّخينتين. لقد كان لقاؤه حتميًّا.

تجنّب فيرجيل رفع رأسه وحافظ على خطاه.

قال تشيت: "هل نسيت اسمك أيّها المتخلّف؟".

سال العرق على ظهر فيرجيل، وهو يُسرع الخطى، وازداد انزعاجه مع ازدياد حرارة الشّمس، وسمع صوت خطواتٍ سريعةٍ خلفه.

هل سيدفعه الثّور من الخلف؟ أم يلقي بكرة السّلة على رأسه؟ تعود دفعه إلى الحائط في المدرسة من دون أن يطرحه أرضًا أو يضربه أو أيّ شيءٍ آخر، ولكن دائمًا هناك مرة أولى.

رأى فيرجيل حذاء الثّور الرّياضيّ أمام ناظريه، وتسلّلت إلى أنفه رائحة عرقه وتساءل إن فاحت منه الرّائحة ذاتها.

مشى الثّور إلى جوار فيرجيل وكأنّهما صديقان حميمان وسأله: "إلى أين أنت ذاهبٌ أيّها المتخلّف؟".

التزم فيرجيل الصّمت.

تابع المشي.

سأله الثّور مجدّدًا: "دعني أطرح عليك سؤالًا، ما ناتج خمسة ضرب خمسة؟".

تابع المشي.

قال الثّور: "ستعجز عن الإجابة طبعًا لأنّك متخلّف، إنّ الإجابة هي خمسٌ وعشرون، وهو عدد المرّات التي خرجت فيها مع أختك"، وقهقه.

وتابع فيرجيل المشي.

تخيّل فيرجيل نفسه في عالمٍ موازٍ، حيث توقّف عن المشي، وانتصب بثباتٍ، ونظر مباشرةً إلى عيني تشيت بولينس، ثمّ أمسكه من عنق سترته بيده النّحيلة الصّغيرة ذات أصابع عازف البيانو، ودفعه مقابل شجرةٍ قريبةٍ وقال: "ليس لديّ أختٌ أيّها الجاهل، اسحب ما قلته"، ولكن تشيت سيعجز عن قول أي شيء لأن بديل فيرجيل يحكم قبضته على ياقة سترته التي أصبحت ضيقة جدًا. بعد ذلك، سيرفعه فيرجيل بإحدى يديه ويلقي به عبر الحي فوق ثلاثين منزلًا قبل أن يسقط في إحدى المداخن شديدة السّخونة رغم أنّ أحدًا لا يستخدم الموقد في فصل الصّيف، ولكن سيعلق الثّور هناك، وسيستحيل قطعة لحمٍ مشويّة.

تلاشى فيرجيل البديل على أرض الواقع، وحلّت السّلحفاة محلّه. وسابقت ساقاه الرّيح من دون أن ينبس ببنت شفّة.

تجنّب الثّور مطاردته، واكتفى بالضّحك فقط.

7
مستقبلٌ غريب

غاب الثّور عن الأنظار، ولكن صدى ضحكته تردّد في أذني فيرجيل مثل أزيز ذبابةٍ مزعجٍ، حتّى وصل أخيرًا إلى منزل أسرة تاناكا.

شقّ عليه استيعاب أنّ شخصًا مثل كاوري تسكن في منزلٍ عاديّ، ولكنّه تذكّر أنّ والديها من ابتاعه، ويعجز الطّفل عن اختيار والديه.

فتحت جين الباب الأماميّ قليلًا.

وقد لفّت حول عنقها حبل القفز الورديّ وكأنه سماعة طبيب. فتذكّر فيرجيل آخر مرّةٍ قفز عن الحبل فيها في حصّة الرّياضة، والتي انتهت على نحوٍ سيئ.

سألته جين: "ما هي كلمة السّر؟".

أجاب فيرجيل: "سبق لي أن أتيت خمس مرات إلى هنا، هل يجب أن...".

كرّرت جين سؤالها: "كلمة السّر؟".

قال فيرجيل: "يشرق كوكب الزّهرة من الغرب".

أومأت جين، وتراجعت عن الباب.

نظر فيرجيل إلى ساعة هاتفه، وأدرك أنّه وصل رغم كلّ شيء، وتسلّلت إلى أنفه رائحة البخّور المتصاعدة من غرفة كاوري التي أطلقت عليها اسم "غرفة الأرواح". خلت الغرفة من أيّ

شيءٍ عدا سريرها والبساط، بالإضافة إلى طاولةٍ من أجل البخّور، وعددٍ من الملصقات الكبيرة المعقّدة التي صوّرت مجموعاتٍ من النّجوم والكواكب، وبضعة كتبٍ في زوايا الغرفة.

جلست كاوري على البساط عاقدةً ساقيها واضعة وهي تحتضن حقيبةً ذات خيطٍ يفتحها ويغلقها. جلس فيرجيل بدوره ووضع حقيبته برفقٍ في حضنه، ثمّ حبّة المانغا أمامه على البساط.

قال فيرجيل: "طلبت والدتي أن أحضرها لك، بإمكانك تناولها عندما تنضج".

أومأت كاوري إلى جين التي حملت حبّة المانغا في كلتا يديها ووضعتها جانبًا.

استرق فيرجيل النّظر إلى داخل حقيبته كي يطمئنّ على جوليفير.

قالت كاوري: "هل تودّ أن تأخذ جين أشياءك؟".

أجاب فيرجيل سريعًا: "لا، إنّ خنزيري الغيني في الحقيبة".

لمعت عينا جين وقالت: "حقًّا؟"، واقتربت من الحقيبة، ولكن كاوري أمرتها أن تلزم مكانها، وسألت فيرجيل وقد ضاقت عيناها الدّاكنتان الغائرتان قائلة: "هل جلبت قارضًا في حقيبة ظهرك؟".

أجاب فيرجيل: "عمليًّا أجل، ولكنّه ليس جرذًا أو شيئًا آخر مثله، بل هو خنزيرٌ غيني".

قالت كاوري: "لا يمكن تغيير حقيقة أنّه قارض... دعنا نتحدّث في المهمّ".

رفعت الكيس ذا الخيط، والذي بدا أنّه يحتوي على بعض الحصى المميّزة، ولكن فيرجيل أدرك، بعد أن رأى محتواه، أنها مجرّد حجارةٍ عاديّةٍ متوسّطة الحجم تشبه التي تستعملها والدته في الحديقة.

قالت كاوري: "اختر واحدًا من دون أن تنظر، ثمّ ضعه على البساط بيننا".

كان اختياره عاديًّا أيضًا حسب ظنّه، إذ أمسك حجرًا رماديًّا أملس يشبه الهلال.

أنعمت كاوري النّظر إليه وكأنّها عالمة فلك. كانت قد سرّحت شعرها الأسود ورفعته إلى أعلى، فبدت وكأنها تعرّضت إلى صدمةٍ كهربائيّة، ووضعت قليلًا من صبغة الشّفاه زرقاء اللّون

على شفتيْها. عدّلت جلستها بعد أن انتهت من تفحّصه، وأغمضت عينيْها، ووضعت سبابتيْها على صدغيْها وقالت: "أمامك مستقبلٌ غريب... غريبٌ جدًّا".

سألها فيرجيل: "ماذا تقصدين بذلك؟".

ضغطت كاوري شفتيْها وقالت: صمتًا".

عطس جوليفير.

تابعت كاوري: "سيحدث شيءٌ لك".

التفت فيرجيل إلى جين، التي هزّت كتفيها.

سأل فيرجيل: "هل هذا كلّ شيء؟ ماذا سيحدث لي؟".

قالت كاوري: "أنا أرى ظلامًا".

أجاب فيرجيل: "لأنّ عينيك مغمضتان".

تنهّدت كاوري من دون أن تفتح عينيها وقالت: "أعلم ذلك أيّها الغبيّ، ليس هذا ما قصدته".

سألها فيرجيل: "ماذا تقصدين إذًا؟".

أجابت: "أقصد أنني أراك في مكانٍ مظلم".

سألها فيرجيل: "ماذا تقصدين بمكانٍ مظلم؟".

قالت: "مظلمٌ فحسب".

تسارع نبض فيرجيل.

كانت تلك ثاني أكثر معلوماته سرّيةً: إذ يخاف فيرجيل من الظّلام رغم أنّه في الحادية عشرة من عمره، ويعجز عن تجاوز ذلك. ربّما يعود خوفه إلى حكايات لولا التي سردتها عليه عن القردة الشّريرة ثلاثيّة الرّؤوس التي تنشط ليلًا.

أو قصصها عن الطّيور التي تختطف الأطفال في ظلمة اللّيل. لقد اعتبر فيرجيل الظّلام وحشًا خفيًّا. في تلك اللّحظة، شعر أنّ شيئًا في حجم كرة السّلّة عالقٌ في عنقه.

فتحت كاوري عينيها، ومدّت يدها فوق جين كي تأخذ ثمرة المانغا، وشمّتها، ثمّ سألته: "لا أرى شيئًا آخر... أخبرني كيف أعلم متى ستنضج؟".

أجابها فيرجيل: "انتظري حتّى تطرى قليلًا".

تناسى فيرجيل خوفه واطمأنّ على جوليفير مجدّدًا ثمّ قال: "اسمعي يا كاوري، لقد جئت إليك لأنني أريد التحدث في أمرٍ محدّد".

سألت كاوري: "وما هو هذا الأمر؟".

التفت إلى كاوري، ثمّ إلى جين، ورتّب أفكاره، إذ تخيّل الكلمات تصطفّ، واحدةً تلو الأخرى، في خطّ مستقيمٍ وينطقها بوضوح من دون تلعثمٍ أو نسيانٍ، ومن دون أن يبدو غبيًّا. أوشك فيرجيل على كشف أكثر أموره سرّيةً والتي جعلته فاشلًا كبيرًا.

قال فيرجيل: "آه...".

نقّلت كاوري ثمرة المانغا بين يديها.

تابع فيرجيل: "جلّ ما في الأمر... هناك فتاةٌ أعرفها، أقصد أودّ التحدث إليها - في الحقيقة، أخطّط لذلك منذ بداية العام الدّراسيّ الذي انتهى الآن... كما أنني... لم أقدّم نفسي تمامًا، ولكن.. آه... ينتابني شعور... أنّه مقدّرٌ لنا أن نكون صديقين، أنت تعلمين، شيء مثل...".

قالت كاوري: "مثل الحدس"، ووضعت ثمرة المانغا على البساط على رمز برج الدّلو.

قال فيرجيل وقد احمرّت وجنتاه: "أجل، بالتأكيد أعتقد ذلك".

أمسكت جين مرفقها وقالت: "لماذا لا تذهب إليها، وتطلب منها أن تكون صديقتك؟ هذا ما كنت سأفعله لو كنت مكانك".

رمقتها كاوري بنظرةٍ غاضبةٍ وقالت: "اصمتي يا جين، لا تجري الأمور على هذا النّحو في المدرسة الإعداديّة، فضلًا عن أنّ فيرجيل خجول، ألا ترين ذلك؟".

انساب إحساس الإهانة في عروق فيرجيل.

قالت كاوري: "أستطيع مساعدتك، ما اسمها؟".

تلعثم فيرجيل قليلًا.

قالت كاوري: "تستطيع إخباري اسمها فنحن لا نرتاد المدرسة ذاتها، ولذلك لن أعرفها على الأرجح".

لقد صدقت كاوري، إذ ارتادت مدرسةً خاصّةً. ولكن فيرجيل لم يكن مستعدًّا بعد للبوح باسمها، إذ إنّ الأمر بحدّ ذاته محرجٌ للغاية.

قالت كاوري: "حسنًا، أطلعني على الحرف الأول من اسمها واسم عائلتها".

تنفس فيرجيل بعمق وقال: "حسنًا، ف. س".

هزّت كاوري رأسها محتارةً وقالت: "ولكن هذين الحرفين هما الحرفان الأولان لاسمك واسم عائلتك".

أجاب فيرجيل: "أعلم ذلك".

قفزت كاوري من مكانها، وكأنّها تجلس على صفيح ساخن، وقالت بطيش: "إنّه القدر. وكأنّه مقدّرٌ أن تكونا صديقين. لا صدفة في ذلك يا فيرجيل ساليناس، هل تعرف ما هو برجها؟".

يعرف فيرجيل برجها، ولكنّه أحرج من إخبار كاوري ذلك.

يجتمع أولاد غرفة المصادر[6] معًا حول الكعكة من أجل الاحتفال في أعياد ميلادهم، وقد كتب فيرجيل شيئًا خاصًّا في عيد ميلاد فالنسيا.

في بقيّة الأيّام، يجلس مدرّسٌ مع كلّ طالبٍ ويمنحه بعض الواجبات كي ينجزها. يقضي فيرجيل ساعته رفقة الآنسة جيغريتش كي يتعلّم الرّياضيّات، في حين تقضيها فالنسيا مع السّيد كينغ.

ولكن فيرجيل يشكّ في حاجة فالنسيا إلى تعلّم شيءٍ ما؛ إذ تبدو ذكيّةً جدًّا، وبدا أنّ جلّ ما يفعلانه هو مراجعة واجباتها الأسبوعيّة والتأكّد من أنّها فهمت كلّ شيءٍ تمامًا. يسمح لها السّيد كينغ أن تقضي ساعتها في القراءة. في إحدى المرّات، استرق فيرجيل نظرةً إلى كتابها، والذي كان عنوانه *الجامحة: حياة جين غودال البرّية*.

في تلك اللّيلة، بحث عن جين غودال عبر الإنترنت، ووجد أنّها أكثر النّاس خبرةً في قرود الشّمبانزي، وقطع عهدًا على نفسه أن يقرأ ذلك الكتاب يومًا ما.

قال فيرجيل: "إنّها من برج العقرب".

قالت كاوري: "أووه! إنّها مغامرةٌ وشجاعة! مليئة بالحيويّة وسريعة الغضب! نشيطةٌ وواثقة! إنّ ف. س. مختلفةٌ عنك تمامًا ولذلك تخاف التحدّث إليها".

أدرك فيرجيل أنّ كاوري لم تقصد إهانته، ولكن كلامها أزعجه.

عضّت كاوري شفتها السّفلى وفكّرت، في حين سحبت جين نهايتي حبل القفز وشدّتهما بقوّة، واطمأنّ فيرجيل على جوليفير.

مرّت لحظاتٌ ثقيلةٌ من الصّمت قبل أن تقطعها كاوري قائلةً: "أعلم تمامًا ما يجب فعله"، وأسرعت إلى الأمام، وانحنت وكأنّها على وشك منح فيرجيل أكثر المعلومات قيمةً في التّاريخ، واقتربت منه كثيرًا إلى درجة أنّه استطاع شمّ رائحة لِبان النّعناع في فمها.

قالت كاوري: "أحضر لي خمسة حجارةٍ مختلفة الأحجام يوم السّبت القادم في تمام السّاعة الحادية عشرة صباحًا، هل فهمت؟".

أجاب فيرجيل: "أجل".

مدّت كاوري يدها إلى جيبها وقالت: "أريد منك شيئًا آخر، هل ما زلت تذهب رفقة لولا إلى سوبر سيفر في أيّام الجمعة؟".

قال: "أجل".

ناولته بطاقة العمل الخاصة بها وقالت: "خذ هذه معك، وألصقها على لوحة الإعلانات إن أمكنك ذلك. كنت سأفعل ذلك شخصيًّا لولا هلع والديّ من إعطا اسمي ورقم هاتفي إلى أشخاص غرباء".

أخذ فيرجيل البطاقة منها.

وقد طبعت رقم هاتفها المحمول على ظهر البطاقة.

أضافت قائلةً: "ضعها في مكانٍ تسهل رؤيتها منه".

أومأ فيرجيل بالإيجاب.

8
مغامرةٌ في قسم الأطعمة المجمّدة

دخل فيرجيل إلى قسم الأطعمة المجمّدة في متجر سوبر سيفر برفقة لولا التي التفتت إليه وسألته: "ما سرّ هدوئك اليوم يا بنيّ؟".

أجاب فيرجيل: "أنا هادئٌ دومًا".

قالت: "ليس عندما أرافقك، يختلف الهدوء في عينيك هذه المرّة".

قال فيرجيل: "أنا أفكّر في أمرٍ ما".

سألت لولا: "ما هو؟".

صمت فيرجيل قليلًا ثمّ قال: "أفكّر في قصّة مالايا والتّمساح".

كان ذلك جزءًا من الحقيقة.

أخبرته لولا أنّ مالايا فتاةٌ فيليبّينية صغيرة وصلت خلال رحلتها إلى قريةٍ تربّعت على ضفّة نهرٍ كبيرٍ حيث تنمو الخضروات والفاكهة اللّذيذة، دون أن يجرؤ سكّان القرية على تناول أيٍّ منها لأنّها ملك التّمساح، ولذلك انتشر الجوع بينهم. قطفت مالايا فور وصولها ثمرة جوافةٍ وتناولتها، وأثار ذلك الذّعر بين القرويّين، فحذّروها من فعل ذلك لأنّه سيودي بحياتها. لكنّها استمرّت في تناول الطّعام، وأشعلت نارًا، وطهت بعض الخضروات، وأطعمت منها القرويّين جميعهم، والذين تغلّب جوعهم على خوفهم من التّمساح، وعجزوا عن مقاومة الطّعام الشّهي. وكما هو متوقع، ظهر

التّمساح من النّهر، وسأل عن الذي تجرأ وتناول الطّعام. تقدّمت مالايا، وأشارت بإبهامها إلى صدرها وقالت: "أنا الفاعلة".

أخبرها التّمساح أنه سيلتهم القرويّين لأنّهم أخذوا طعامه كلّه، ففتح فمه كي ينقضّ عليهم، وتلألأت أسنانه الحادّة أمام أعينهم. ولكن مالايا سارعت إلى التقاط جذوةٍ من النّار بيديها العاريتين وأقحمتها في حلقه فقتلته.

لم تخشَ مالايا شيئًا.

وكذلك فالنسيا، وقد تبيّن ذلك من دون الحاجة إلى الحديث إليها.

سألته لولا: "لماذا مالايا؟"، أعاده سؤالها من القرية الجائعة إلى سوبر سيفر مجدّدًا.

أوشك أن يقول: "أعرف فتاةً تشبهها في المدرسة واسمها فالنسيا"، قبل أن تقع أغرب الأحداث حينها، إذ رأى فالنسيا سومرسيت تسير خلف والدتها محدّقةً دون اهتمامٍ إلى البطاطا ذات الشّكل المموّج، وبدت كلتاهما مستاءتين.

انتاب فيرجيل إحساسٌ غريبٌ إزاء ظهور شخصٍ ما فجأةً أمام عينيه بعد التّفكير فيه. لا يؤمن فيرجيل أنّ القدر يؤدي دورًا في حياة المرء، ولكن بدا أنّه تدخّل فعلًا في تلك اللّحظة، وإلّا كيف سيفسّر صدفةً كهذه؟ فهذه المرة الأولى في حياته التي يصادف فيها فالنسيا سومرسيت خارج المدرسة.

"لا توجد صدف".

"قدّر أن تكونا صديقين".

قالت لولا فجأةً: "ما بك يا بنيّ، إلى أين أخذتك أفكارك؟"، ودفعت عربة التّسوّق إلى الأمام قليلًا كي تتفحّص البيتزا المجمّدة التي يحبّها جوسيليتو وجوليوس، واحتارت في أمر شرائها، إذ كانت زهيدة الثّمن وغير صحّيةٍ في الوقت نفسه.

لم تره فالنسيا، فقد شغلها تجاهل والدتها، وأدرك فيرجيل ذلك من النّظرة المألوفة تمامًا التي ارتسمت على وجهها.

ماذا لو التفتت ورأته؟ هل ستلقي عليه التّحيّة؟ أم يجب أن يبادر هو؟ وكيف يلقي المرء التّحيّة على آخر يضع سماعة؟ هل يقول "مرحبًا" فقط أم يؤدّي حركةً معيّنة؟ بإمكانه أن يلوّح إليها، ولكن ماذا بعد؟ هل يجب أن يقول "مرحبًا" بعد ذلك؟

أدرك فيرجيل في تلك اللّحظة مكانه تمامًا.

مشى بشكل طبيعيٍّ وتوارى خلف جدّته، إذ رفض فكرة أن تراه فالنسيا قبل أن يعلم تمامًا خطوته التّالية، ماذا لو أهدر هذه الفرصة التي منحه إيّاها القدر بتصرّفه على سجيّته؟

تمتم فيرجيل: "آسفٌ يا لولا، لقد تذكّرت شيئًا حدث في آخر يومٍ من العام الدّراسي".

وضعت لولا البيتزا السّيئة في عربة التّسوّق وسألته: "ماذا؟ ما الذي حدث؟". لقد أحبّت دومًا الاستماع إلى الأحداث من دون النّظر إلى مصدرها.

قال فيرجيل: "آه... لقد تناولنا البازلّاء الخضراء على الغداء حينها".

رفعت لولا حاجبيها وقالت: "هل هذا هو الأمر العظيم الذي أردت إخباري إيّاه؟ يجب أن تجد أمورًا أكثر متعةً كي تفعلها يا بني"، ثم أخذت كيسًا من كرنب بروكسل من الثّلاجة ووضعته في عربة التّسوّق أيضًا ومشت قليلًا إلى الأمام. بقي أربعة أشخاصٍ فقط في القسم، فيرجيل ولولا إضافةً إلى فالنسيا ووالدتها. تساءل فيرجيل إن كانت الأضواء ساطعةً دومًا في هذا المكان.

كان الاختباء خلف لولا صعبًا لأنّها نحيلةٌ جدًّا، فضلًا عن أنّها التفتت إلى فيرجيل وسألته فاضحةً موقعه: "يا إلهي ما الذي تفعله يا فيرجيلو، ولماذا تلتصق بي على هذا النّحو؟".

تسمّر فيرجيل في مكانه.

وضعت السّيدة سومرسيت كيسًا من قطع البطاطا المجمّدة الجاهزة من أجل القلي في عربة التّسوّق في حين واصلت فالنسيا التّحديق إلى الثّلاجة وكأنّها البوّابة إلى نارنيا.

فكّر فيرجيل في أنّ القدر منحه فرصةً أخرى، فهل سيهدرها ويبقى مختبئًا خلف جدّته؟

تمالك نفسه، إذ قد تلتفت فالنسيا في أيّ لحظةٍ وتراه، وسيجب عليه حينها قول شيءٍ ما أو ما شابه.

"سأفعلها الآن، سألوّح لها أو ألقي التّحية، ولن أكترث سواء بدوت غبيًّا أم لا".

"لا توجد صدفة".

خطا فيرجيل خطوةً إلى الأمام، ولكن فالنسيا أولته ظهرها ومشت في الاتّجاه المعاكس من دون أن تراه، واحتار فيرجيل بين الضحك أو البكاء.

تنفّس الصّعداء مهزومًا، والتفت إلى لولا التي أمسكت كيسًا من البازلّاء المجمّدة في كل يدٍ كي تقارن بين سعريهما أو علامتهما التّجارية.

وقعت عينا فيرجيل على المثلجات المرتّبة ترتيبًا أنيقًا في الثّلّاجة المقابلة، وفكّر في أنّه بحاجة إلى أيّ شيءٍ يسعده، فسأل جدّته: "هل بإمكاننا تناول بعض المثلجات؟ وأقصد الصّنف *الجيّد* منها"، حيث تعودت لولا اختيار أرخص الأنواع، إذ انتقت صنفًا يعادل حجمه ثلاثة أضعاف الأصناف الأخرى، وضعتْ فيه المثلجات ضمن وعاءٍ بلاستيكيّ، ولم يكن لذيذًا، وقد أثار ذلك تساؤل فيرجيل، حيث إنّ مالًا أكثر يعني مثلجات أكثر، ولكن يبدو أنّ عالم المثلجات يسير بشكل مختلف. يفضّل فيرجيل تناول قليلٍ من الصّنف الجيّد على كثيرٍ من الصّنف السّيئ.

تابعت لولا تفحّص كيس البازلّاء وقالت: "هل تريدها بالفراولة؟".

يفضّل فيرجيل نكهة الفانيلا الفرنسيّة، ولكنّه تجنّب المخاطرة والطلب من لولا نكهةً أخرى.

بدأ البحث بين أصناف المثلجات عن أفضلها، ووجد نوعًا يحوي قطعًا صغيرةً من الفراولة، قبل أن يتخلّله انعكاس وجهٍ مألوفٍ على الزّجاج أمامه. لقد كان الثّور تشيت بولينس خلفه يتحدّث إلى والده، أو ذو الوجه السّخيف كما أسمته لولا، مع أنّه لم يسبق لها أن رأته.

شعر فيرجل أنّ مدرسة بويد الإعداديّة يعاد تشكيلها في سوبر سيفر، إذ يقف رفقة أكثر شخصين يستأثران بأفكاره الآن تحت سقفٍ واحدٍ إلى جوار رفوف الحسومات على المياه الغازيّة

والمانغا.

لم يره الثّور بعد.

فتح فيرجيل الثّلاجة مباشرةً، فغطّى البخار بابها حاجبًا القدرة على رؤيته. وقف هناك حتّى تجمّدت ذراعاه وآلمته أسنانه وتأكّد من رحيل تشيت ووالده، كما نادته لولا من نهاية القسم قائلةً: "أسرع يا بنيّ!"، فخطف أقرب عبوةٍ من المثلجات من دون أن ينظر إليها.

9
فالنسيا

يصلح اسمي أن يهتف به النّاس في الحرب.

فالنسيا! فالنسيا! فالنسيا!

فهو اسمٌ قويّ وجميلٌ سواء كتبته على ورقةٍ أو فكّرت فيه. وتلتفت الأنظار إلى حامله مباشرةً من دون حاجته إلى الإشارة إلى وجوده.

إنّ اسم فالنسيا سومرسيت جميل. أخبرتني أمّي أنّها أرادت أن تسمّيني آمي، ولكنّها وجدت من نظرتها الأولى إليّ أنّ اسم فالنسيا يناسبني.

إنّ اسمي واحدٌ من الأشياء القليلة التي أتّفق مع والدتي عليها، ونختلف في بقيّة الأمور، إذ نحن الآن في قسم الأطعمة المجمّدة من متجر الخضروات، وقد أحضرت والدتي أصابع البطاطا الجاهزة من أجل القلي بدلًا من المدوّرة، ولا أدري من أثبت امتياز الخيار الأوّل.

نقرت على كتفها وسألتها عندما التفتت إليّ: "هل نستطيع إحضار البطاطا المدوّرة؟".

شوّش أزيز الثّلاجات على سمّاعتي، فعجزت عن فهم معظم إجابتها، ولكنني متأكّدةٌ أنّها رفضت ذلك، وأخبرتني أنني أستطيع شراء ما أريد من البطاطا من مالي الخاص عندما أكبر، وغيرها من المواعظ.

لقد رفضت مرافقتها إلى متجر الخضروات، لأنّه مملّ، فضلًا عن أنّها تمنعني من شراء أيّ شيءٍ أريده. ولكنّها اصطحبتني لأنّ والدي ما زال في العمل فضلًا عن حاجتها إلى المساعدة في

حمل الخضروات، ولا فائدة ترجى من مناقشتها إطلاقًا.

لذلك أنا هنا رغمًا عني، وزاد كابوس الأمس الطّين بلّةً؛ إذ أيقظني قبل بزوغ الفجر وقلبي يخفق بقوّةٍ وسرعةٍ حتّى اعتقدت أنّه سيخرج من صدري، وعجزت أن أخلد إلى النّوم مجدّدًا. كانت حسنة الاستيقاظ الوحيدة حينها هي رؤية شروق الشّمس الذي حدث ببطء وسرعةٍ في الوقت نفسه، وهذا ما أحبّه في الشّروق، إذ يجب أن تراه في لحظةٍ محدّدةٍ كي تلاحظ تبدّل لون السّماء من الرّماديّ إلى الأسمر المحمرّ، ثمّ يحلّ الصّباح فجأةً.

لقد نجوت من كابوس نومي، وعلقت في كابوس التّسوّق في سوبر سيفر مع والدتي.

قالت لي وكأنني خادمتها الشّخصيّة: "أحضري ثلاث ثمارٍ من الأفوكادو"، وأشارت ناحية قسم الفاكهة والخضروات الذي شعرت أنّه يبعد مسافة خمسمئة متر تقريبًا. يجب عليّ إحضار ثمار الأفوكادو التي أكرهها أساسًا، هذا رائع.

قرّرت التريّث قدر الإمكان، فمشيت ببطءٍ شديدٍ وفكّرت في كلّ الأشياء الرّائعة التي كنت سأفعلها إن بقيت في المنزل، بدلًا من مرافقة والدتي إلى سوبر سيفر، كمراقبة عشّ الطّيور عبر نافذة غرفة نوم والديّ، والذي يضمّ طائرين صغيرين، بعد أن كان يضم ثلاثةً في السابق، وافترضت أنّ الثّالث قد انطلق في رحلةٍ رائعةٍ إلى مكانٍ ما. ولكنني أُدرك تمامًا مراحل حياة فرخ الطّائر وقسوتها أحيانًا، إذ تشقّ عليه حماية نفسه قبل أن يستطيع الطّيران؛ فقد يسقط من العشّ، وقد تخطفه حيواناتٌ أخرى وتتناوله. يجب أن أرفع رأسي كثيرًا كي أستطيع إلقاء نظرةٍ خاطفةٍ على الطّائرين في العشّ نظرًا إلى ارتفاع الشّجرة الكبير، ولكن سيشعران رغم ذلك أنّ أحدًا يرعاهما على الأقلّ، كما يرعاني القدّيس رين.

أجيد انتقاء أفضل ثمار الأفوكادو رغم كرهي إيّاها، إذ يجب أن تختار الثّمرة داكنة اللّون وليس الخضراء، ثمّ تضعها في يدك، وتضغط عليها برفقٍ قدر الإمكان لأنّك ستفسدها في حال ضغطت بقوّة. وتعني الرّخاوة الشّديدة أن الثّمرة قد تكون فاسدة، فاخترها معتدلة اللين والقسوة في الوقت نفسه.

حصلت على ثلاث ثمار أفوكادو رائعة في الوقت الذي تناهى فيه صوت إعلانٍ من مكبّر الصّوت إلى سمّاعتي. أعتقد أحيانًا أنّ عدم سماع الضّجيج حولنا يجعل الحياة أفضل. عجزت عن

سماع كلّ شيءٍ، ولكنني فهمت أنّ الإعلان يخصّ عروض الأسبوع المميّزة، ويعني ذلك أنّه سيستمرّ طويلًا. وجدت نفسي قرب الباب الآليّ، فعبرته كي أبتعد عن الصّوت، ورأيت بين يدي ثمار الأفوكادو ولا أريد أن أكون سارقة بضائع، لذلك وقفت في مكاني، وتفقّدت لوحة الإعلانات، وكأنّ تلك كانت خطّتي منذ البداية.

توقّف الإعلان ما إن أثار شيءٌ على اللّوحة اهتمامي.

وسيطةٌ روحيّة؟

لا تستقبل البالغين؟

لقد كنت أجهل أنّ الوسطاء الرّوحيّين يختصّون بأعمارٍ محدّدة.

عضضت شفتي السّفلى، وتأمّلت طويلًا عبارتي "وسيطة روحيّة"، و"لا نستقبل البالغين"، ودارت الأفكار في رأسي.

أعلم أنّ الوسيط الرّوحيّ يركّز على المستقبل، ولكنني لا أهتم بمستقبلي أكثر من حاضري واللّحظة التي أعيشها، وأنا أحتاج إلى النّوم في هذه اللّحظة.

انتزعت البطاقة، ورأيت رقم الهاتف، ثمّ أخرجت هاتفي من جيبي الخلفي، وأرسلت رسالةً نصّيةٍ إلى المدعوّة كاوري بيدٍ واحدةٍ، إذ حاولت تجنّب إسقاط ثمار الأفوكادو قدر الإمكان، فقد خشيت عليها أكثر من هاتفي، لأنّ والدتي اشترت واقيًا قويًّا من أجل الشّاشة يحميها من الكسر حتّى إن رميت الهاتف أرضًا. ولكنّها أخبرتني أنّها لن تنكسر إن سقط الهاتف وليس إن رميته، رغم أنني لم أكسر شيئًا طيلة حياتي، وبدا أنّها لا تعرف ذلك.

مرحبًا، لقد رأيت بطاقتك في المتجر.

هل تعرفين شيئًا عن الأحلام؟

انتظرت برهةً قبل أن يصلني الرّد.

أجل أعلم كلّ شيءٍ عن الأحلام،

وقد درست أفكار فرويد[7]. هل

تودّين حجز موعد؟

اصطدم بي أحدهم، وأدركت أنني أقف قريبًا جدًّا من الأبواب الآليّة. اقتربت من لوحة الإعلانات، وأوشكت أن أجيب عن الرّسالة الأخيرة قبل أن أفكّر في احتمال أن يكون من أتحدث إليه قاتلًا متسلسلًا أو شيئًا مشابهًا، إذ لا يعني اسم "كاوري تاناكا" على البطاقة أنّه اسم الشّخص نفسه. ولعلّ اسمها صحيح، ولكنّها امرأةٌ مجنونةٌ هاربة، وتحبّ تناول الأطفال ذوي الأحد عشر عامًا على الفطور.

كم عمرك؟ وكيف أعلم أنّك لست قاتلةً مجنونةً؟

أنا في الثّانية عشرة، وكفاك سخافةً.

لا تبدين في الثّانية عشرة من العمر.

لأنّي تقمّصت روح مقاتلٍ من أجل الحرّية في الخامسة والسّتّين من عمره.

لا أدري إن بعث ذلك الطّمأنينة في قلبي. يجب أن أفكّر في الأمر.

وضعت الهاتف في جيبي، ومشيت إلى الجهة المقابلة من المتجر بحثًا عن والدتي، فرأيت ذاك الولد ذا الوجه المنكمش من المدرسة، أعتقد أنّ اسمه تشيت، وأعلم ذلك نتيجة اعتياد السّيد بيبر أن يكتب أسماء الأولاد مثيري الصّخب على السّبورة، وهو أمرٌ صبيانيّ تمامًا. ولكن المدرّسين يعاملوننا وكأنّنا في السّابعة من العمر أحيانًا، وهذه واحدةٌ من النّقاط المشتركة الكثيرة بينهم وبين الأهل.

أيًّا يكن، يحتلّ اسم هذا الولد السّبورة دومًا لأنّه يتصرّف بحمق طوال الوقت. أجهل اسمه الأخير لأنني لا أهتم، ولا أطلق عليه حتّى اسم تشيت، بل ذو الوجه المنكمش. أعلم أنّ هذا التّصرّف غير لائق، ولكن ماذا يمكن أن أقول؟ إنّ وجهه منكمش، ويبدو كأنّه يشمّ رائحة كريهة، ويملك عينين صغيرتين ووجنتين مدوّرتين وقد أُقحمت مكوّنات وجهه جميعها بعضها مع بعض في المكان نفسه. تتجلّى الدّناءة في وجوه النّاس دومًا، وتحتاج أن تفتّش عنها أحيانًا، فتجدها جزءًا من كينونة المرء، وينطبق ذلك على تشيت.

سار ذو الوجه المنكمش برفقة والده ناحية طابور المحاسبة وفق اعتقادي، ومشيت في الاتّجاه المعاكس، ونظرت إلى عينيه مباشرةً عندما مررت إلى جواره، إذ أدركت أنّه سيفعل شيئًا ما، وحدث ذلك. حيث وضع إصبعيه في أذنيه، وحَول عينيه، ومدّ لسانه من جانب فمه. تعوّد فعل ذلك منذ أوّل يومٍ في المدرسة عندما أدرك أنني صمّاء.

يحتاج إلى ابتكار أساليب جديدةٍ في السّخرية.

قلت: "أنت أحمق".

لا أدري إن سمعني أم لا، ولا أكترث لهذا.

10
آل بولينس

هناك شيءٌ غريبٌ حيال النّاس الصّمّ، إنّ تلك الفتاة صلبةٌ حقًّا.

راود تشيت الشّكّ حول حقيقة صمم فالنسيا، وتساءل إن كانت تتظاهر بذلك للتجسس على الآخرين. فإن كانت صماء كيف تستطيع التحدث؟ صحيحٌ أنّها تتحدّث بشكل غريبٍ، وكأنّ فمها ممتلئ بالحصى، ولكن لعلّها تدّعي ذلك أيضًا، فضلًا عن أنّ قدرتها على قراءة الشّفاه مريبةٌ أيضًا.

ربّما تقرأ شفاه الجميع، وتدوّن أسرارهم في يوميّاتها، مثل هويّة لصّ آلات البيع، أو الذي يحفر عباراتٍ بذيئةً على المقاعد، وقد أثار ذلك خوف تشيت لأنّه من ارتكب كليهما.

التفت تشيت إلى والده الذي بدا في هيئة "ما بعد العمل" كما تدعوها والدته؛ ارتدى بنطالًا أسود، وفك ربطة عنقه، وحلّ أزرار القميص العلويّة. يعلم تشيت أنّ والده يعمل في شيءٍ يخصّ المبيعات من دون أن يدري طبيعة العمل تمامًا، ولكنّه أراد أن يعمل مثله في المستقبل، إذ منح هذا العمل والده مركزًا مهمًّا وأتاح له السفر أحيانًا إلى أوروبا أو سياتل وغيرهما.

كان السّيد بولينس يعتقد أنّ الرّجل الذّكي يملك إجابةً عن كلّ الأسئلة، وهذا ما يضمن الاحترام الذي تكسبه عن طريق تفوّقك في المعلومات وتعليمك من هم أقلّ مستوىً منك، ويرى أنّ الاحترام نتاج أحد عاملين أو كليهما؛ الحبّ أو الخوف.

يجب على المرء اكتسابه وإلّا ستتذيّل السّلسلة الغذائية في انتظار أن ينقضّ أحدهم عليك.

أحبّ تشيت سؤال والده لأنّه يجيبه دومًا مُغنيًا معرفته، فسأله: "كيف يصيب الصّمم الإنسان؟".

توقّف السّيد بولينس وأخذ كيسًا كبيرًا من رقائق دوريتوس التي أحبّها كثيرًا، وقد تعوّد أحيانًا أن يطلب من تشيت إحضار أيّ نوعٍ يريده من الرّقائق، فيجلب الأخير دوريتوس رغم أنّه يفضّل تشيتوس.

أجاب السّيد بولينس بعد أن ألقى الكيس في عربة التسوّق: "لا أدري في الحقيقة، أعتقد أن أمورًا كثيرةً تُسهم في ذلك، فقد يولد بعض النّاس صمًّا. لماذا تسأل؟ هل التقيت أحدًا أصمّ؟".

التفت تشيت من دون لفت الأنظار إلى الخلف ولم يرَ فالنسيا، ولكنه أحسّ وجودها، وقد تأكّد من وجود أمرٍ غريبٍ في تلك الفتاة، وكذلك بقيّة النّاس الصّم.

أجاب تشيت: "لا، إنّه مجرّد سؤال".

مسح والد تشيت جبهته وقال: "يعمل بعضهم هنا، إذ يوظّف متجر الخضروات هؤلاء النّاس كنوع من المساعدة، فلا يحتاجون إلى المعاملات التي ينجزها النّاس العاديون، ولكن يجب أن يتعلّموا كيفيّة توضيب الخضروات".

أومأ تشيت.

مرّ الاثنان إلى جوار رفوف البسكويت والكعك، وألقى السّيد بولينس نظرةً خاطفةً على كلّ شيءٍ وقال: "سمعت صوت كرة السّلّة في مدخل المنزل ليلة البارحة، هل تواظب على التّدريب؟".

شعر تشيت بارتفاع حرارة عنقه، وأمل ألّا تستحيل حمراء اللّون.

أجاب: "أجل، ارتأيت أن أتمرّن طيلة فصل الصّيف كي ألتحق بالفريق في الوقت المناسب، إذ ستبدأ تجارب الأداء في فصل الخريف، ولذا..."، وهزّ كتفيه. اعتقد أنّه لا ضير في مجاراة والده متّبعًا مقولةً سمعها مرّةً: "اكذب حتّى تنجح".

قال السّيد بولينس: "أعتقد أنّ المدرّب يتذكّر جيّدًا سوء تجارب العام الماضي".

خرج الاثنان من القسم، وبحث السّيد بولينس عن أقصر الطوابير من أجل تسديد ثمن المشتريات، وسار تشيت بالقرب منه.

سأل والده: "كم سلّة سجلت اللّيلة الماضية؟".

وضع تشيت يديه في جيبي بنطاله، وتباطأ في سيره بينما وقف والده في طابور أمين الصّندوق رقم سبعة، ثمّ أجاب: "لا أذكر تحديدًا فلم أعدّها".

التفت السّيد بولينس إلى ابنه، وارتسمت ابتسامةٌ عريضةٌ على شفتيه، وربّت بقوّةٍ كتف تشيت وقرص مؤخّر عنقه وقال: "ليس الجميع نجومًا في كرة السّلّة، ستحصل على فرصتك يا بنيّ، ولكن لم يحن وقتها بعد. هذا كلّ ما في الأمر".

صبّ السّيد بولينس اهتمامه بعدها على الحزام النّقّال الذي أثقلته امرأةٌ أمامهما بالوجبات المجمّدة، والكعك، وعبوتين من المياه الغازيّة، وقد كانت السّيدة كبيرة الحجم، وزاد ثوبها المنزليّ من حجمها.

انحنى السّيد بولينس على ابنه وهمس: "يجب عليها شراء مزيدٍ من الخضراوات أليس كذلك؟". وقهقه.

رمقتهما السّيدة بنظرةٍ غاضبةٍ تشبه نظرة فالنسيا إلى تشيت، وتساءل الأخير إن سمعتهما، وتمنّى ذلك. إذ يقول والده إنّ إحراج الآخرين قد يكون السّبيل الوحيد من أجل تعليمهم وفتح أعينهم على واقعهم وأخطائهم. وأثبت ذلك فعاليّته أيضًا، إذ أسهم السّيد بولينس في عودة بعض النّاس إلى الطّريق الصّحيح.

ضحك تشيت وقال: "أجل".

استغرقت السّيدة وقتًا طويلًا نظرًا إلى كثرة مشترياتها، ثمّ بدأ تشيت ووالده يضعان مشترياتهما: النّقانق، والدّوريتوس، ولحم البقر المفروم، والمثلّجات، والشّطائر، والفشار بالزّبدة، وبسكويت غراهام، ولوحي شوكولا هيرشي.

كان أمين الصّندوق مراهقًا بطيء الحركة وقد غطّت البثور وجهه، وكتب اسمه "كيني" على البطاقة التّعريفيّة المعلّقة بشكلٍ مائلٍ على جيب سترته، وتحته كلمة *متدرّب*.

قال السّيد بولينس: "سيتخرّج ابني من المدرسة الثّانوية في الوقت الذي نخرج فيه من هنا"، وضحك كي يبدو مازحًا.

قال تشيت: "يبدو أنني سأستمر حتّى الجامعة"، وضحك، لكن أحدًا لم يسمعه سوى والده.

11
احذر اللّون الأحمر

قرأ فيرجيل على الإنترنت أنّ الخنازير الغينيّة تنام في مواعيد عشوائيّة نظرًا إلى كونها صغيرةً وضعيفةً، ما يجعلها فريسةً سهلةً أمام الحيوانات الأخرى، ولذلك يجب عليها الحذر دومًا، فتعجز عن التّنعّم بنومٍ هانئ. كما أنّ أمثال جوليفير تنام على فتراتٍ تصل إلى خمس عشرة دقيقةً. لا يستطيع فيرجيل أبدًا معرفة متى يكون جوليفير نائمًا نظرًا إلى بقاء عينيه مفتوحتين دومًا وقضائه وقتًا طويلًا داخل كوخ الشّجرة البلاستيكيّ الخاص به.

ما زال جوليفير يتّبع غريزته التي تفرض عليه الهدوء نسبيًّا، ولكنه يغامر أحيانًا ويجول في القفص محدثًا ضجيجًا لا بأس به، إذ يحبّ أن يلعب بعبوة المياه الخاصة به، وقد أيقظ ذلك فيرجيل في السّابعة من صباح يوم السّبت.

تمتم فيرجيل: "كفى يا جوليفير"، وغطّى رأسه بالملاءة، ولكن من دون فائدة، إذ عجز عن مواصلة نومه.

لعلّ ذلك أفضل، إذ يستطيع فيرجيل الآن تناول الفطور، وتوضيب جوليفير في الحقيبة، مع بقاء متّسعٍ من الوقت كي يبحث عن الحجارة الخمسة. تساءل كثيرًا عن سبب طلب كاوري لها، ربّما تريد رميها على رأسه كي يتوقّف عن تصرّفاته كالاختباء خلف أبواب الثّلاجة في سوبر سيفر.

نهض فيرجيل، وتمطّط وفتح باب غرفته، وأسعده السّكون الذي ساد المنزل.

عبر الرّواق على رؤوس أصابعه متجنّبًا إصدار أيّ ضجيجٍ من شأنه إيقاظ أفراد أسرته، وذلك حرصًا على نفسه وليس عليهم، فهم ذوو مراس صعب دومًا وخاصّةً في الصّباح.

خيّم الهدوء على المنزل.

كان رائعًا.

ابتهج فيرجيل لأن الصّمت يُخيّم على المنزل الصّاخب في العادة، فتح باب الثّلّاجة من دون أن ينظر إلى طاولة المطبخ، إذ أدهشه سماع صوت نفسه يفكّر، فلا أحد يجهر بالحديث، أو آخر يناديه بالسّلحفاة.

أخرج عبوة الحليب، وأدرك أنّ اليوم مقبلٌ على بدايةٍ رائعة، وجلس بهدوءٍ، وتناول خبز القرفة المقرمش ووضع خطّة ليومه، إذ فكّر في البحث عن الحجارة الخمسة مختلفة الأحجام في الغابة قرب منزل كاوري. لا يفترض به الذّهاب إلى هناك، ولكن أدرك أنّها المكان المثاليّ من أجل إيجاد ضالّته.

تمكن طبعًا من سرقة بعضها من الحديقة في الخلف، ولكن بدا ذلك خاطئًا، وكأنّها لن تجدي نفعًا، وظن أنّ كاوري سترفضها.

سمع فيرجيل صوتًا يقول له: "أنت تسكب كثيرًا من الحليب".

قفز من مكانه، وسكب بعضًا من الحليب على الطّاولة، لقد كانت لولا تقرأ مجلّةً على طاولة المطبخ.

قال فيرجيل: "لقد أخفتني".

قالت لولا: "يجب على المرء أن ينظر في أرجاء الغرفة عند دخولها كي يتجنّب مفاجآتٍ غير متوقّعة".

قال فيرجيل وهو يمسح الحليب عن الطّاولة: "لقد كنت أفكّر"، وأعاد عبوة الحليب إلى الثّلّاجة، ثمّ حمل صحنه، وجلس إلى جوار لولا التي أصابت في قولها، إذ صب كثيرًا من الحليب الذي ملأ الطّبق عن آخره.

وضعت لولا المجلّة جانبًا، وحدّقت إليه قائلةً: "أصبحت كثير التفكير مؤخّرًا، ما الأمر؟ لا تقل لي إنك تُفكر بشأن البازلّاء الخضراء".

التزم فيرجيل الصّمت، فهو لم يكن مستعدًّا ليخبرها عن فالنسيا، وكان ذلك شيئًا لا يريد فيه نصيحتها. ولكن لا ضير من سماع بعض الأفكار الإضافيّة.

تناول فيرجيل ملء فمه من حبوب الفطور، وسأل لولا: "هل تؤمنين بالقدر؟".

أسندت لولا ظهرها إلى الخلف وقالت: "أجل، طبعًا".

تابع فيرجيل: "إذًا هل تؤمنين أنّ الأمور تقع من أجل هدفٍ معيّن؟".

قالت لولا: "يا إلهي كفاك كلامًا وفمك مليء بالطعام. أجل، أؤمن أنّ الأمور الجيّدة وكذلك السّيئة تحدث من أجل غايةٍ محدّدة".

ابتلع فيرجيل وقال: "لماذا تقحمين الأمور السّيئة في كلّ شيء؟".

أجابت لولا: "لا نعرف الأمور الجيّدة ما لم نرَ السيئة، فإن اختفت الأخيرة، ستغدو الأمور الجيّدة عديمة المعنى بل مجرّد أمورٍ عاديّة. هل سبق لك أن فكّرت في ذلك؟".

نظر فيرجيل إلى حبوب الفطور وقال: "لا أعتقد ذلك".

رفعت لولا حاجبيها، وقالت وكأنّها تبوح بسرٍّ كبير: "أنا أؤمن بوجود الإشارات أيضًا يا فيرجيلو".

سأل فيرجيل: "أيّ نوعٍ من الإشارات؟".

انحنت لولا إلى الأمام وقالت: "راودني حلمٌ في الأمس عن طفلٍ اسمه أمادو، وكان يمشي على المرج عندما رأى شجرةً حمراء ساطعة لم يسبق أن وقعت عيناه على نظير لها. فأعجبته كثيرًا، وقرّر التوجه صوبها متجاهلًا تحذيرات النّاس وقولهم إنّها شجرةٌ سيّئة ويجب أن يتجنّب الذّهاب إليها. هل تعلم ماذا حدث في النّهاية؟"، أشارت لولا إلى نقطةٍ على الطّاولة، وكأنّ أمادو يمشي هناك تمامًا متجاهلًا الجميع.

أجاب فيرجيل قبل أن يتناول ملعقةً من الحليب: "تناولته الشّجرة؟".

قالت لولا وقد عاودت الجلوس على الكرسيّ: "أجل هذا ما حدث تمامًا، هل تدرك الإشارة في هذا الحلم يا فيرجيلو؟".

قال فيرجيل: "يجب ألّا أدخل الغابة متجاهلًا تحذيرات الآخرين؟".

قالت لولا: "لا، بل احذر اللّون الأحمر".

تعجّب فيرجيل: "احذر اللّون الأحمر؟".

أشارت لولا إلى فيرجيل وقالت: "احذره اليوم فقط، هذه هي نصيحتي من أجلك اليوم، ضعها في الحسبان يا فيرجيلو، اتّفقنا؟".

قال فيرجيل قبل أن يتناول ملعقةً أخرى ممتلئة: "سأتذكّر ذلك يا لولا".

12
فالنسيا

في رواق منزلنا ضوءٌ يومض عندما يرنّ أحدهم جرس الباب، وقد أيقظني هذا الوميض صباح اليوم، ولست متأكّدةً من طبيعة الشّخص السّاديّ الذي يرنّ جرس باب أحدهم عند السّابعة والنّصف من صباح يوم السّبت. سأكتشف ذلك حالًا فلم يستيقظ أحدٌ سواي. وتبيّنت ذلك من هيئة المنزل، إذ تبدو الجدران نائمةً أيضًا. مشيت حافيةً في الرّواق ومن دون وضع سمّاعتي أيضًا. وقف أمام الباب رجلٌ أسود الشارب يتخلّله بعض الشعيرات الرمادية برفقة فتاةٍ بنّية العينين غطّى النّمش وجهها، وقد حمل كلّ منهما بضع كتيّباتٍ تحت ذراعيه. لم يبدُ أنّهما ضلّا الطّريق، بل كان منزلنا هو وجهتهما، واستغربت ذلك لأنه لم يسبق لي أن التقيت بهما. ألقى الرّجل التحيّة وعرّف عن نفسه وعن الفتاة، وقد منعني شاربه من قراءة شفتيه بشكلٍ جيّد. أعتقد أنّ اسمه كرايغ أو غريغ، وشقّ عليّ قراءة اسم الفتاة، ولكنّه ربّما يبدأ بحرف ألف والذي لا يتطلّب تحريك الشّفتين عند نطقه، مثل إنيد.

أشرت إلى أذني، وهززت رأسي قبل أن يتابع كلامه كي يدرك أنني صمّاء، فنظر إليّ وكأنّ شيئًا خرج من رأسي. ثمّ ناولني الكتيّب سريعًا، ولوّح مودّعًا إيّاي آخذًا الفتاة المنمّشة معه. وحرّك شفتيه على نحوٍ مبالغٍ فيه حتّى ظهرت أسنانه جميعها كي يقول ما أدركت أنّه: "سعدت بلقائك"،

وهي عبارةٌ سهلة القراءة لأنّها تقال دومًا. رفع صوته عندما قالها وكأنّ ذلك سيحدث فرقًا. نظرت إليّ الفتاة وكأنني كائنٌ في حديقة الحيوانات. أردت أن أمدّ لساني لها، ولكنني لم أفعل ذلك، إذ سيصادفون شيئًا أكثر وقاحةً لأنّهم اتّجهوا إلى منزل جارتنا السّيدة فرانكلين التي تكره وصول

الضّيوف فجأةً، وقد امتلكت أكثر القطط التي رأيتها شرًّا في حياتي. وأعتقد أنّها ستهاجم شارب الرّجل إذا طلبت منها السّيدة فرانكلين ذلك.

أغلقت الباب، ونظرت إلى الكتيّب، الذي بدا أنّه من الكنيسة. كُتب على غلافه بحروفٍ كبيرةٍ: "لا يسمع الكلمة إلّا من يصغي لها". بدا ذلك سخيفًا من جميع النّواحي. استأت حقًّا من رحيل السّيد غريغ/كرايغ من دون التحدث إليّ، إذ أراهن على عدم رغبة أحدٍ في الاستماع إليه وخاصّةً في هذا الوقت من اليوم، ولكن كنت سأنصت له رغم ذلك.

أردت أن أطرح عليه كثيرًا من الأسئلة عن الكنيسة وخدماتها، وعن القدّيس رين أيضًا، وسأخبرهما عنه إن كانا يجهلانه. وربّما أعدّ بعض القهوة من أجلهما لأنني تعلّمت طريقة إعدادها.

ولكنني جلست كالغبيّة الآن بدلًا من ذلك أحدّق إلى الكتيّب، فألقيته في سلّة المهملات في المطبخ لأنّ أيًّا من والديّ لن يقرأه.

جاء والدي إلى الرّواق يحكّ مؤخّر رقبته كعادته عندما يستيقظ وقال: "من كان على الباب يا قطعة الحلوى؟". لا أدري إن كان ذلك ما قاله، ولكنه بدا سؤالًا منطقيًا، كما أنّه يناديني دومًا بقطعة الحلوى.

ربّما يجب أن أكرهه لأنّه اسمٌ طفوليّ، ولكن آمل أن يستمرّ في مناداتي هكذا حتّى عندما أصبح في ثلاثينات عمري مثلًا.

قلت له: "أشخاصٌ من الكنيسة"، وأخرجت الكتيّب من سلّة المهملات وأريته إيّاه، فألقى نظرةً عليه وسألني: "ماذا ستفعلين اليوم؟"، ثمّ تثاءب واتّجه إلى خزانة المؤن كي يعدّ طبقًا من حبوب الفطور من أجله كالعادة، فهو يتناولها على العشاء أحيانًا أكثر من أيّ شخصٍ آخر في المنزل، ويفضّل المحلّاة منها والتي تسبّب تسوّس الأسنان أكثر من غيرها وفقًا لوالدتي، التي تزعجها كثيرًا عادة والدي هذه.

قلت: "سأذهب في رحلةٍ استكشافيّةٍ مع دفتر يوميّاتي الخاص بالحيوانات".

تجنّبت إخباره عن كاوري.

اتّضح أنّ حاجتي إلى إيجاد علاجٍ من كوابيسي فاق خوفي من المجانين، إذ قرّرت المخاطرة وزيارتها.

حصلت على موعدٍ عند السّاعة الواحدة تمامًا. يبدو أن كاوري تاناكا دقيقةٌ جدًّا في مواعيدها، ويبرّئها ذلك نسبيًّا من كونها قاتلةً، إذ لا أعتقد أنّ الدّقة في المواعيد تحتلّ قمّة أولويّات المجرمين.

تجنّبت منحها هويّتي الحقيقيّة تحسّبًا، فأخبرتها أنّ اسمي ريني، من دون اسم عائلتي. عجزت عن التّفكير في اسمٍ آخر مزيّف.

صبّ والدي الحليب على حبوب الفطور *كاب أند كرانش*، أما أنا فعدت إلى غرفتي كي أحاول النّوم مجدّدًا إذ كان الوقت باكرًا جدًّا، فرججت كرة الخفافيش الزّجاجيّة، ووضعت الملاءات عليّ قبل استقرار الخفافيش في القاع.

أخبرتني كاوري أنّها تعيش في الجهة المقابلة من الغابة، وأسعدني هذا الخبر لأنه يعني أن منزلها قريبٌ من منزلي. وإلّا، لا أدري كيف كنت سأصل إليها.

حفظت الغابة عن ظهر قلب، فأنا أميّز نظافة المكان الذي تتركه حيوانات المرموط خلفها بعد الاستيقاظ مع الفجر، وأعلم مكان بئرٍ قديمةٍ مهجورة من دون حبلٍ أو دلو. فاستنتجت من ذلك أن الغابة حقل يحوي منزلًا سكنه أحدهم في الماضي، أي أنّ الأشجار يافعة نظرًا إلى عمر الشّجرة الوسطي. ضمّت الغابة الجمّيز، والحور، والبلوط، وأشجارًا أخرى متشابكةُ ذات أوراقٍ لوّنتها درجاتٌ من الأصفر بشكل خلّابٍ في فصل الخريف. وكان ذلك أحد الأماكن التي أفضّلها، وحيث أكتب معظم يوميّاتي. لقد عبرت الغابة كاملةً ذات مرّةٍ، ووصلت إلى الحيّ في الجهة المقابلة، ولعلّي رأيت منزل كاوري وقتها.

يفترض بها أن تضع لافتةً في ساحة منزلها أو شيئًا من هذا القبيل كي تجلب زبائن أكثر.

أغمضتُ عينيّ، وفكّرت في ذلك الكتيّب، وتساءلت عن موقع كنيسة الرّجل ذي الشارب، تمنّيت لو سألته ذلك.

ولكن لا بأس، سأتظاهر أنني في الكنيسة.

تخيّلت نفسي جالسةً على أحد المقاعد الخشبيّة الطّويلة، وتساءلت إن احتوت كنيسة الرّجل ذي الشارب مقاعد أو كراسي. أتأمّل المذبح الضّخم أمامي، وأتحدّث إلى القدّيس رين الذي لا ينظر إليّ كبقيّة النّاس، وكأنّ شيئًا ينبت من رأسي لأنّه يفهم حالتي. حاولت تصوّره يضع سماعتين في أذنيه.

قلت: "أيّها القدّيس رين، لقد فكّرت في الذّهاب وحيدةً في نهاية المطاف رغم أنّها ليست الفكرة المثلى، ولكنني أحتاج إلى ذلك رغم أنّ الكابوس لم يراودني البارحة وهذا جيّد إذ يجب أن أكون يقظةً اليوم، وأردت سؤالك حمايتي من كاوري إن كانت تلتهم أطفالًا في الحادية عشرة من عمرهم على الفطور، فهي قد تكون قاتلةً متسلسلة أو لا. شكرًا لك، آمين. لا أدري إن وجب أن أقول آمين، ولكن يبدو وقعها جميلًا، ولذلك: آمين".

13
الأفاعي

استيقظ تشيت صباح يوم السّبت وهو يفكّر في الأفاعي، فقد ادّعى جون ديفيس أنّه وجد جلد أفعى في الغابة قرب المدرسة، ولذلك قرّر تشيت أن يخطف الأضواء منه، ويقبض على أفعى حقيقيّة وليس مجرّد جلدها.

علم أنّه يستطيع فعلها، ووضع خطّته كالتّالي: سيجد عصا طويلةً، ويتّجه إلى حيث توجد الأفاعي بين الشّجيرات والأعشاب الطويلة، وينبش بواسطة العصا حتّى ظهور إحداها وسماع فحيحها أو أيّ كان ما تفعله، وذلك من مسافة آمنةٍ طبعًا- فهو ليس غبيًّا كي يقترب منها، وينتظرها كي ترفع رأسها وتهجم عليه- فيمسكها من ذيلها فلا تستطيع عضه، ويحكم يده الأخرى على أسفل رأسها أسرع ما أمكن ومن الأفعى طبعًا، فهو لم يكن خائفًا منها.

جاء اليوم المنشود.

أحبّ تشيت كثيرًا كيفيّة ابتلاع الأفاعي فرائسها في لقمةٍ واحدةٍ كبيرةٍ. أظهر خوف النّاس منها جبنهم، ولكنه ليس جبانًا، وأثبت ذلك في رحلة العام الماضي الميدانيّة عندما حمل أفعى الأصلة العاصرة من دون تردّد، رغم تحذيرات الآنسة بوش والسّيد فريدريك المسؤول عن قسم الزّواحف، والذي قال إنّها قادرةٌ على كسر العظام عن طريق الضّغط فقط.

صرخ تشيت على مسامع الجميع: "أنتم جبناء وتخافون أفعى صغيرةً عاجزة".

عقد ديفيد كيستلر ذراعيه وقال: "لا أراها صغيرةً في الحقيقة".

قال تشيت: "علمت أنّك ستخاف منها يا كيستلر، كما أنّك تعجز عن الجري عشر خطواتٍ من دون أن ترتمي أرضًا خائر القوى".

كان ديفيد طفلًا قصيرًا يعاني من الرّبو، وكان يحمل معه دائمًا جهاز استنشاق.

تابع تشيت مختالًا: "كما أنّها لن تؤذيني، إذ تعلم من الأقوى هنا".

آلم وزن الأفعى ذراع تشيت، ولكنّه أخفى ذلك، ولم يعارض حمل السّيد فريدريك إيّاها وإعادتها إلى حاويتها. في تلك اللّحظة، رفعت فالنسيا يدها كي تطرح سؤالًا على السّيد فريدريك. فكّر تشيت في أنّها تطرح كثيرًا من الأسئلةٍ.

أشار إليها السّيد فريدريك فسألته: "هل تسمع الأفاعي الأصوات؟".

فأطلق الطّلاب ضحكاتٍ مكبوتة، ومن بينهم تشيت.

رمق ديفيد الجميع بنظرةٍ غاضبةٍ وقال: "اصمتوا"، من دون أن يقصد أحدًا على وجه التّحديد، فصمت الجميع فعلًا، بمن فيهم تشيت، واستأنف السّيد فريدريك كلامه بعد برهة.

فكّر تشيت في أنّ طفلًا يستخدم جهاز استنشاق ويبدو كأنّه في الصّفّ الأوّل، شجاعٌ كفايةً كي يحمل الجميع على الصّمت.

رجّح السّيد فريدريك يده وكأنّه يقصد أنّ الأفعى تسمع جزئيًّا وأجاب: "إنّه سؤال ممتاز. لا تملك الأفاعي آذانًا ولكنها تسمع عن طريق انتقال الاهتزازات عبر جلدها إلى أذنها الدّاخليّة. وتختلف الأصوات المسموعة بيننا وبينها، وما زال العلماء غير واثقين من طبيعتها".

أدرك تشيت أنّها ستسأل شيئًا عن الآذان لأنها لا تسمع، وفكّر مجدّدًا في أنها تضع تلك السمّاعتين الكبيرتين من أجل لفت الانتباه حيث لا تحاول إخفاءهما أبدًا، وهذا ما دعم فرضيّته. فضلًا عن أنّها تقضي عصر أيام الخميس في غرفة المصادر، والتي كانت أسهل كثيرًا من الحصص الدّراسيّة العاديّة في الأيّام الأخرى،

حيث يضع المدرّسون مكبّرات صوتٍ تعمل بشكل ما مع سمّاعاتها، ويتحدّثون عن علاجٍ خاصّ. ولا يطرحون عليها الأسئلة مباشرةً، ولا يطلبون منها التوجّه إلى السّبّورة، وحلّ التّمارين،

إلّا إذا رفعت يدها. في حين يستهدفون تشيت دومًا بقولهم: "اجلس في المقعد الأماميّ يا تشيت، توقّف عن فعل ذلك، اترك الطّفل وشأنه، أين واجبك المنزليّ؟". ليست فالنسيا سوى دجّالةً محترفة.

راقبها تشيت وهي تفحص الأصلة العاصرة. لعلّها ساحرةٌ تستخدم السمّاعتين من أجل التّواصل مع عالمٍ آخر، أو تمارس السّحر في المنزل أو شيئًا مشابهًا، أو تتحدّث إلى البشر والحيوانات عن طريق التخاطر. يوجد شيءٌ غريبٌ في هذا الأمر!

تأخرت فالنسيا عن الخروج مع الطّلاب، وراقبت الأفعى من دون أن يطلب أحدٌ منها أن تسرع ولا حتّى السّيد فريدريك، بدا وكأنّها خفيّةٌ عن الأنظار.

لقد أفلتت بفعلتها من كلّ شيء.

14
يعلم الكون ذلك

أبقت كاوري غرفتها خاليةً من الأثاث لأنّه يضيّق المساحة في غرفة الأرواح كغيره من الأمور السّخيفة. أجبرها والداها على وضع سريرٍ فيها، فقبلت، وأقنعتهما أن يضعا خزانة الأدراج في المرأب، رغم أنّ أشياءها مكدّسةٌ تمامًا في خزانتها. وقد استحقّ الأمر العناء، إذ تستطيع كاوري الآن دراسة خريطة النّجوم من زوايا مختلفة، بفضل المساحة الفارغة في الغرفة. وهذا ما فعلته عند السّاعة الثّامنة من صباح يوم السّبت بعد دفع أختها وإيقاظها من النّوم. يوجد عملٌ مهمّ اليوم،

وهو اكتشاف كيفيّة جمع شخصين من برجي الحوت والعقرب من دون التّدخّل في الأقدار التي حدّدتها النّجوم. إنّها مسألةٌ حسّاسة. فكّرت كاوري في إمكانيّة استخدام جاذبيّة القدر، أو التّلاعب في الكون وتحقيق ما تريده.

لقد احتاجت إلى خطّة.

وقفت كاوري أمام خريطة النّجوم مباعدةً بين ساقيها واضعةً يديها على خصرها وقالت: "ستنعكس مواقع النّجوم إيجابًا عليهما".

سألتها جين: "كيف علمتِ ذلك؟ لا أرى سوى مجموعة من الخطوط والنّقاط"، وقد اتّخذت وضعيّة أختها ذاتها، عدا أنّ نهاية ملابس نومها كانت مقلوبة إلى الخارج، كما لفّت حبل القفز حول خصرها مثل الحزام.

تنهّدت كاوري وقالت: "أخبرتك كثيرًا أنّ النّقاط هي النّجوم، وعندما نصل بينها عن طريق هذه الخطوط نحصل على الأبراج، فضلًا عن أنّها ليست خطوطًا في المقام الأوّل بل صور، هل

ترين هذا هنا؟ إنّه برج الجوزاء. وتمثّل هذه النّجوم الثّلاث حزامه، ألا ترين أنّه يصطاد؟".

أمالت جين رأسها إلى اليمين، ثمّ اليسار، وقالت: "لا أرى سوى بضعة خطوط".

قالت كاوري مشيرةً إلى بعض النّقاط على الخريطة: "وهذان بيغاسوس وزوجته أندروميدا، هل ترين؟".

أجابت جين: "أجل إذ كتب اسم كلّ منهما إلى جواره، ولكنّها مجرّد خطوط".

تنهّدت كاوري مجدّدًا، وطلبت من الأرواح مسامحة أختها.

سألت جين: "كيف سيساعدنا هذا على وضع خطّتنا؟".

أجابت كاوري: "تخبرنا النّجوم كلّ شيء، فلا توجد صدفٌ في هذا العالم".

أنعمت جين النّظر إلى الخريطة وسألت: "هل قدري هنا؟".

قالت كاوري: "أجل، ويفرض عليك مساعدتي على الخروج بخطّتنا".

أجابت جين: "اعتقدت أنّنا سنمارس بعض السّحر باستخدام الصّخور التي سيجلبها فيرجيل".

قالت كاوري: "إنها حجارة وليست صخورًا".

قالت جين: "إنّهما الشّيء نفسه".

اعترضت كاوري: "ليس تمامًا".

سألت جين: "ما الفرق بينهما إذن؟".

فركت كاوري رأسها وقالت: "إنهما مختلفان. يا إلهي، هل تسمحين لي أن أفكّر قليلًا؟ إذ لا تملكين فكرةً عن الأمور التي تواجهنا في جمع شخصين من هذين البرجين معًا".

قالت جين: "لعلّ القدر لا يريدهما صديقين، إذ لا يعني تشابه الحروف الأولى من اسميهما شيئًا. فأنا أشترك في ذلك مع جيرترود تومليسون ولا أحبّها مطلقًا، لقد كسرت ثلاثةً من أقلامي

الرّصاص الورديّة البرّاقة حتّى من دون أن تعتذر إليّ، كما أنّها تمضغ أجزاءً من الممحاة وهذا التصرّف مقزّزٌ جدًّا".

قالت كاوري: "أنا متأكّدةٌ من أنّ الصداقة قدرهما، يكشف الكون هذه الأمور بطريقته الخاصّة".

سألت جين: "وكيف ذلك؟".

أجابت كاوري: "يكشفها عن طريق وضعهما في المكان والزمان نفسيهما، أو توظيف قوّةٍ خاصّةٍ مثلي من أجل إرشادهما إلى طريقهما".

قالت جين: "لقد مضى عامٌ كاملٌ على وجودهما في المكان والزمان نفسيهما، من دون أن يتبادلا الحديث".

أجابت كاوري: "يتحمل فيرجيل مسؤوليّة ذلك كاملةً، ألا ترين شدّة خجله؟ فضلًا عن أنّه شخص يحمل قارضًا في حقيبته يا جين".

قالت جين: "إنّه ليس قارضًا بل هو خنزير غينيّ".

قالت كاوري: "إنّ الخنازير الغينيّة من القوارض أيضًا، مثل الجرذان أو السّناجب أو الفئران".

أجابت جين: "أعتقد أنّ جوليفير كائنٌ لطيف".

أشاحت كاوري نظرها عن خريطة النّجوم، ومشت حول بساطها الدّائري، وتبعتها جين على كعبي قدميها.

قالت كاوري: "أريد القول إن الأمر صعبٌ على فيرجيل فحسب، انطلاقًا من كون الحوت برجه. انظري إلى رمز برج الحوت، إذ تمثّله سمكتان تسبحان في اتّجاهين متعاكسين، هل تعلمين السّبب؟".

هزّت جين رأسها.

قالت كاوري: "لأنّ أفراد هذا البرج حائرون في أنفسهم، ولا يثقون في خياراتهم، وزائدو الحساسيّة".

جلست جين القرفصاء كي تنظر إلى السّمكتين.

قالت كاوري: "انظري الآن إلى رمز برج العقرب".

نقلت جين عينيها السّوداوين إلى رمز البرج المجاور على البساط وقالت: "هذا مقزّز، إنّه حشرة".

أجابت كاوري غاضبةً، وكأنّ جين قد شتمت والديهما: "لا... حسنًا، إنّه حشرة، ولكن ليس حشرةً عاديّة، بل عقرب يا جين، هل تعلمين معنى ذلك؟".

قالت جين: "إنّ س. ف. تملك ذيلًا؟".

اعتذرت كاوري إلى الأرواح مجدّدًا، وقالت: "لا، بل إنها شخصية مستقلة، صارمة وحادّة الطّباع، وواثقة في نفسها، وتملك أصدقاء كثرًا يتنافسون من أجل لفت انتباهها. في حين يتحدّث المسكين فيرجيل إلى قارض. يمثّل أحدهما نقيض الآخر تمامًا، وأراهن أنّ لا شيء مشترك بينهما".

فكّرت جين في الأمر، ثمّ التفتت إلى أختها وقالت: "لعلّها تحبّ القوارض أيضًا".

تنهّدت كاوري للمرّة الثّالثة وقالت: "كفاك سخافةً يا جين".

15
فالنسيا

إنّ السّناجب من حيواناتي المفضّلة، وقرّرت دراستها وأنا أعبر الغابة، إضافةً إلى إطعام كلبي الأليف ساكرد.

في الحقيقة، أنا أملكه بشكلٍ غير رسميٍّ، ومتأكدة من أنني أهتمّ به أكثر من أيّ شخصٍ آخر. عارض والداي احتفاظي به، وأعتقد أنّهما يكرهان الكلاب رغم نفيهما ذلك، إذ أرجعا رفضهما ساكرد إلى

أن الحيوانات الأليفة مسؤوليّةٌ كبيرةٌ يودّان تجنّبها. أخبرتهما مرارًا وتكرارًا أنّه سيكون حيواني الأليف، ويعني ذلك أنني سأهتمّ به، ولكن من دون فائدة، إذ يجداني غير مسؤولةٍ كفايةً للاعتناء به. ولكن كيف يعرفان ذلك طالما أنه لم يسبق لنا أن اقتنينا كلبًا؟ أعتقد أنّهما يرفضان الفكرة فحسب، ويجب عليهما قول الحقيقة إن كان الأمر كذلك، من دون إلقاء اللوم على نقص قدرتي المزعوم على تحمّل المسؤوليّة. أنا لا أفهمهما أحيانًا.

أسفر ذلك عن عيش ساكرد في الغابة معتمدًا على نفسه. لقد اعتنيت به جيّدًا، وواظبت على جلب وعاءٍ من الطّعام من أجله في كلّ مرّةٍ أذهب فيها كي أراقب الحيوانات، كما أنّه يظهر أمامي دومًا. إنّه ألطف الكلاب التي قد تلتقيها، ولكنك لن تدرك ذلك من النّظر إليه، ليس في المرّة الأولى على الأقلّ. يبدو ساكرد كلبًا شريرًا نظرًا إلى حجمه الكبير وفرائه الأسود الرّثّ، فهو يعيش وحيدًا في الغابة، ولا ينعم برفاهية الحياة التي تملكها الكلاب الأليفة الأخرى.

تطلّب الأمر منّي النّظر إلى وجهه كي أدرك لطفه، فقد سبق لي القول إن الشّرّ يظهر في وجوه النّاس، وينطبق ذلك غالبًا على جميع الحيوانات ذات الأعين.

يخاف النّاس الكلاب السّوداء أكثر من غيرها وكذلك القطط، ولم أجد تفسيرًا منطقيًّا لهذا الأمر، إذ تعجز الحيوانات عن اختيار لون شعرها. فلا فرق بين الأسود والبنّي، فضلًا عن أنه مجرّد شعر. أقسم بأنّ النّاس غريبو الأطوار أحيانًا.

قرّرت الذّهاب إلى الغابة في العاشرة والنّصف تقريبًا كي أقضي وقتًا أطول في تسجيل نشاطات السّناجب في يوميّاتي، وإطعام ساكرد، وبذلك أصل إلى منزل كاوري على مهلٍ. ولكنني أحتاج في البداية إلى سرقة وعاءٍ من المطبخ. يستعمل والدي الأوعية البلاستيكيّة أحيانًا.

لذلك يجب أن آخذ سرًّا أحد الأوعية التي يندر أن يستخدماها فلا يلاحظا فقدانها. ولكنني لاحظت أنّ والدتي تفقّدت خزانة الأطباق مؤخّرًا، وبدا أنّها أدركت وجود شيءٍ غريبٍ وتساءلت في نفسها: "أين اختفت الأوعية البلاستيكيّة؟".

أخطّط دومًا لكي أعيد الوعاء وأنظّفه وأضعه في مكانه بعد كلّ مرّةٍ أذهب فيها لأُطعم ساكرد، إذ إن هذا ما سيفعله الجميع أليس كذلك؟ ولكن حدث في بعض الأوقات (معظمها في الحقيقة)، أن أخفى ساكرد الأوعية في موقعٍ مجهولٍ من دون أن أعثر عليها. أعلم أنني أحتاج خطّةً أفضل، ولكنني أنسى ذلك حتّى اللّحظة التي أوشك فيها على أخذ الطّعام إليه، كما يحدث الآن مثلًا.

وضعت ملاحظةً ذهنيّةً كي أجد طرقًا أفضل من أجل أخذ الطّعام.

لعلّي أستطيع صنع وعاء طعامٍ وتثبيته إلى إحدى الأشجار.

ولكن لا وقت لذلك الآن.

انتظرت حتّى جلس والداي في غرفة المعيشة كي يشاهدا أخبار الصّباح المملّة ذات التّعليق الأسوأ على الإطلاق، فانتشلت بسرعة أحد الأطباق، وملأته برقائق الذّرة، وخمس شرائح من النّقانق، وشريحة جبنة، وبعض الجزر الصّغير. أعلم أنّ سماع مكوّنات هذا المزيج يجعله مقزّزًا، وأوكّد أنّ مظهره ليس أفضل، ولكن ليس بالنسبة إلى ساكرد، إذ يتغلب الجوع على أيّ شيء.

منعني الحظّ السّيئ من الفرار بسهولةٍ، إذ شدّتني والدتي من سترتي قبل أن أخرج من الباب.

سألتني: "إلى أين تذهبين؟".

أجبتها: "كي أتناول الفطور في الخارج".

ألقت والدتي نظرةً على محتوى الطّبق ورفعت حاجبيها قائلةً: "هل هذا ما ستتناولينه على الفطور؟".

أجبتها: "آه... أجل".

بدوت غير مقنعةٍ نسبيًّا، ولكنّها ستفزع إن أخبرتها أنني ذاهبةٌ إلى الغابة كي أطعم كلبًا ضالًّا، فهي تهلع من أتفه الأمور.

تابعت قائلةً: "سأذهب بعد ذلك في جولةٍ استكشافيّةٍ". وأريتها الحقيبة الصّغيرة التي أحملها على كتفي وأضع فيها يوميّاتي الخاصة بعالم الحيوان وقلم الرّسم المفضّل لديّ.

نظرتْ إلى حقيبتي ونظرتُ إليها.

هل هي في مزاجٍ جيّد أم سيئ؟

أخيرًا، قالت: "توخّي الحذر، وعودي إلى المنزل بعد الظّهر، وابقي قريبةً من هنا أيضًا".

تشبه أمّي قائمةً متحرّكةً من الأوامر.

أجبتها: "حسنًا".

قالت: "لا تغلقي هاتفك، أحبّك".

ترفق والدتي ملاحظةً هامشية دومًا بعبارة ***أحبّك***، مثل: "عودي إلى المنزل في الرّابعة، أحبّك"، أو "أجيبي عن رسائلي النّصّية، أحبّك"، أو "توخّي الحذر، أحبّك".

أتساءل أن كانت تفعل ذلك مع والدي أيضًا.

أجبتها وأنا أخرج من الباب: "سأفعل ذلك يا أمّي، وأنا أيضًا أحبّك".

أعتقد أنني استعملت ملاحظةً هامشيّةً أيضًا.

16
عميقًا إلى الأسفل

أحبّ جوليفير الهندباء دن سائر الأطعمة كعيدان الكرفس، والجزر الصّغير، وشرائح البرتقال. يستغرق تناول إحداها خمس ثوانٍ من وقته، وبعدها يجول داخل القفص ويطلب المزيد، فقد كانت وجبةً شهيّةً يندر أن يتناولها، ولكن البشر اعتبروها نباتًا ضارًّا يجب القضاء عليه من دون أن ينجحوا في ذلك، إذ توجد الهندباء في كلّ مكانٍ من حيّ فيرجيل، وتتبرعم من شقوق الرّصيف، وتستند إلى أعمدة السّياج الصّدئة، وتتسلّل إلى الحدائق المقلّمة جيّدًا. تعوّد فيرجيل اقتلاعها مثل كشّافٍ يبحث عن الجواهر، وملأ جيبًا كاملًا منها في الوقت الذي وصل فيه إلى الغابة، وكان باستطاعته ملء غيره أيضًا، ولكنّه يحتاج إليه من أجل الحجارة.

والدا فيرجيل منعاه من استكشاف الغابة وحيدًا. كانت الأشجار كثيفةً في بعض الأماكن وعاريةً في أخرى، وتناثرت الأزهار في كلّ مكان؛ رأى فيرجيل مجموعةً من أزهار السّوسن، وأخرى من الهندباء بعيدًا عنها. آمنت لولا تمامًا أنّ الأفاعي تملأ الغابة تمامًا، ولكن فيرجيل أدرك أنّه سيجد حجارته الخمس هنا، وليس أيّ حجارةٍ، بل أفضل ما تحويه بلدته.

وجد اثنين مباشرةً بعد أن خطا بضع خطواتٍ في الغابة، وتلاشى صخب حيّه مع توغّله فيها أكثر، ووجد حجرًا آخر، كان الأمر بسيطًا جدًّا. ركّز نظره حينها إلى الأسفل، وتفحّص كلّ بقعةٍ من الأرض من دون أن يسمع الحفيف المشؤوم خلفه.

تسارعت نبضات قلبه عندما سمع صوت زحف الأقدام، والتفت حوله باحثًا عن مصدره، ثمّ التزم مكانه كالصّنم معتقدًا أنّ ذلك سبيل النّجاة من وحوش الغابة وإلّا سيُقدّم على مأدبة عشائها.

لم يرَ شيئًا رغم تيقّنه من سماعه صوتًا ما مختلفًا عن صفير الرّياح أو سقوط غصنٍ على الأرض، بل صوت حركة شخصٍ أو شيءٍ في الجوار.

قال فيرجيل: "مرحبًا؟"، وبدا صوته منخفضًا أجشّ كصوت الغراب.

اعتقد أنّه سمع شيئًا، هل كان هريرًا أم صهيلًا؟ راودته فجأةً فكرة وجود وحيد قرنٍ بين الأشجار، ينبش الأرض بحافره، ويحني رأسه ويجهّز قرنه من أجل الهجوم. تخيّل أنّه قفز في الهواء وحطّ على ظهر المخلوق العملاق ذي الجلد الرّماديّ الثّخين قبل أن يهاجمه ويسحقه، فخطرت في باله قصة من قصص لولا القديمة عن الأشباح.

قالت لولا إن رجلًا وضع أسراره في الأشجار، ولكنّها أفصحت عنها جميعها بعد وفاته إلى عابري السّبيل كلّهم، فلعلّ الأصوات قادمة من تلك الأشجار القديمة، التي تكشف أسرار الموتى، وليس من وحيد القرن.

نظر فيرجيل إلى ساعة هاتفه، فوجدها تشير إلى العاشرة والرّبع. ربّما يتمكّن من خطف أوّل حجرين تقع عيناه عليهما وينطلق إلى منزل كاوري، التي لن تمانع وصوله باكرًا على الأرجح.

سمع صوت الحفيف مجدّدًا ثمّ اختفى. تنفّس فيرجيل الصّعداء، وعادت ضربات قلبه إلى طبيعتها، ونظر قرب قدميه، فرأى حجرًا رابعًا، فوضعه في جيبه. تساءل إن وجد الحجارة الأفضل فعلًا. توغّل في عمق الغابة ولم يسمع ذلك الصّوت مجدّدًا، بل سمع أحدًا من خلفه يقول: "مهلًا أيّها المتخلّف".

التفت فيرجيل وأدهشه ما رأى.

وقف تشيت بولينس بوجهه الممتلئ الذي احمرّ جزءٌ منه قليلًا وقال: "ماذا تفعل هنا وحدك؟ هل أضعت والدتك؟".

خطر في بال فيرجيل أنّ الثّور جاء وحيدًا إلى هنا أيضًا، ولكنّ الأخير تجنّب ذكر ذلك، والتزم فيرجيل الصّمت أيضًا، ووقف وقد ملأت الحجارة أحد جيبيه والهندباء الجيب آخر. بدا غبيًّا إلى أبعد حدّ، وكأنّه انتقل من قصّةٍ خياليّةٍ إلى أخرى وسط هذه الغابة والموقف الغريبين، وحيدًا مع الثّور الذي كان يحمل كيسًا قماشيًّا بين يديه. تساءل فيرجيل عن سبب ذلك، وخطر في باله خلال

ثوانٍ بضع أفكارٍ مرعبة: سيخنقه الثّور بواسطته، أو أنّه يستخدمه لحمل جثث الحيوانات الميّتة، أو أنّه سيقبض على بعض الحيوانات ويخنقها ثمّ يحمل جثثها.

لاحظ فيرجيل أنّ تشيت يرتدي سترة شيكاغو بولز، وقد كانت حمراء اللّون.

"*احذر اللّون الأحمر*".

أدرك فيرجيل أنّه يفضّل مواجهة وحيد القرن بدلًا من تشيت.

قال الثّور: "ما المشكلة؟ أوه لقد نسيت أنّك تجهل كيفيّة الكلام لأنّك متخلّفٌ عقليًّا. أراك تحضر صفّ المتخلّفين طوال الوقت، ماذا تفعلون هناك على أيّ حال؟ أراهن أنّكم مجموعة من الأطفال الذين يبلّلون سراويلهم".

امتلك فيرجيل عددًا من الأسرار: فهو يخاف من الظّلام، ويحمل خنزيرًا غينيًا في حقيبة ظهره، وملأ جيبيه بالهندباء والحجارة، وكان آخرها وزنه الذي يبلغ أقلّ من أربعين كيلوغرامًا، وطوله الذي يدّعي أنّه مترٌ ونصف في حين أنّه أكثر من المتر بقليل.

لا يدري فيرجيل كم يبلغ وزن الثّور أو طوله، ولكنه يفوقه وزنًا بشكلٍ مؤكّد.

قال الثور: "أنت غبيّ فعلًا"، ونظر إلى حقيبة ظهر فيرجيل.

تقدّم تشيت خطوةً، وتراجع فيرجيل مثلها، فانفجر الثّور ضاحكًا قبل أن ينطلق كالرّصاصة وينقضّ على حقيبة فيرجيل. دار الأخير حول نفسه وسقط أرضًا فتخدرت راحتا يديه حتّى كتفيه. انطلق الثّور سريعًا جدًّا، واندفع فيرجيل خلفه مناديًا: "لا، لا، لا"، أعلى ما استطاع من دون أن يختنق.

صاح فيرجيل باسم جوليفير، من دون أن يدري إن حدث ذلك فعلًا أم في مخيّلته.

دخل الثّور بين الأشجار، وتوقّفت ضحكاته، وتابع الجري حاملًا حقيبة فيرجيل بين يديه. تراءت ملايين المشاهد المروّعة أمام ناظري فيرجيل: تخيّل الثّور يقطّع جوليفير إلى قسمين، ويطعمه إلى الأسود، أو يلقيه بين الأشجار، ولذلك تصاعد خوفه عندما توقّف الثّور فجأةً والتفت إليه، وقد احمرّت وجنتاه ولمعت قطرات العرق على عنقه وذؤابة رأسه.

انتظره فيرجيل أن يفتح الحقيبة ويرى جوليفير، ويقضي عليه، ولكن الثّور تراجع خطوةً إلى الخلف، وكشّر عن ابتسامةٍ خبيثةٍ، والتفت ناحية سورٍ حجريّ دائريّ قصير لم يسبق لفيرجيل أن رآه.

إنّها بئرٌ قديمة.

دفع تشيت الغطاء بقوّةٍ مرّتين كاشفًا جانبًا من البئر، وحمل الحقيبة فوقه.

قال تشيت: "ودّع أشياءك أيّها المتخلّف، يجب أن تشتري كتبًا جديدةً أيّها المخنّث، لا أظنك تحتاج إليها فأنت تعجز عن القراءة". وترك الحقيبة تسقط عميقًا في ظلمات البئر إلى درجة أنّ فيرجيل لم يسمع صوت سقوطها في الماء.

ارتسمت ابتسامةٌ عريضةٌ على وجه الثّور، ومسح يديه على مقدّم بنطاله وكأنّه انتهى من عملٍ قذرٍ جدًّا، وهذا ما حدثّ فعلًا. ثمّ التفت ومشى مبتعدًا، واختفى بين الأشجار تاركًا فيرجيل وحده.

17
النّزول تحت الأرض

تضمّ الفيليبّين أكثر من سبعة آلاف جزيرةٍ، بعضها مهجور، وبعضها مأهول، وبعضها هُجر بعد أن كان مأهولًا، مثل جزيرة بالاتاما المنخفضة التي عرف فرجيل قصتها من لولا. فهي جزيرة مزدهرة جدًا في الجنوب إلى درجة أن النّاس استثمروا أراضيها وصولًا إلى تلك التي تملكها مخلوقات الجبل.

في أحد الأيّام، قطع النّاس مجموعةً من الأشجار التي يملكها طائرٌ ملكيّ يدعى باه.

عندما يفرد باه جناحيه يصبح حجمه بحجم الفيل، وهو يملك مخالب حادّةً كالسّكاكين. عندما قطع النّاس أشجاره، تصاعد غضبه وازداد حجمه كثيرًا، وفرد جناحيه الكبيرين الأسودين حاجبًا نور الشّمس تمامًا. أسعد ذلك باه، إذ أعمى الظّلام القرويّين، فأضاعوا طريقهم وتاهوا في مسيرهم قبل أن ينقضّ عليهم ويلتهمهم.

جعل باه الظّلام حليفه واستعمله سلاحًا ضدّ النّاس، فهو أدرك ضعفهم أمامه عندما شاهد ضياعهم وارتباكهم، فجعلهم ذلك فرائس سهلةً، لأن المرء يعجز عن محاربة عدوٍّ خفيّ. وهو الذي كان يشطرهم شطرين بمخالبه قبل أن يدركوا المأزق الذين هم فيه.

كان فيرجيل في الثّامنة من عمره عندما سمع قصّة باه، وها هو الآن ينظر إلى قاع البئر المظلمة، شبه واثقٍ من انبثاق المخالب من قعرها. ساد الظّلام قعر البئر رغم توسّط شمس الظهيرة كبد السماء، ولكنّ الظّلام يبقى ظلامًا سواء كان في السّماء أم في مكان آخر.

سمع فيرجيل صوت ضربات قلبه القويّة، وتصاعد شيءٌ خانقٌ من صدره حتّى انفجر على شكل دموعٍ انهمرت من عينيه عندما قال: "جوليفير؟".

تراءى ظلام البئر أمام فيرجيل مثل فم وحشٍ جائعٍ، وفاحت منه رائحةٌ عفونة قاتلةٌ، ولكن جوليفير يرقد في الأسفل، ولا يستطيع فيرجيل تركه وإن لثانية.

هناك أملٌ رغم كلّ شيءٍ.

رأى فيرجيل سلّمًا يوصل إلى القاع.

ولم يجد أمامه خيارًا آخر.

أفرغ جيوبه من الحجارة ووضعها برفقٍ على حافّة البئر، ثمّ بدأ رحلته إلى الأسفل.

نزل فيرجيل السّلّم مضطربًا، إذ ارتجفت قدمه كلما انتقل من درجة إلى أخرى. أحكم قبضته مع كلّ خطوةٍ إلى الأسفل حتّى آلمته يده، وتابع النزول إلى الأسفل متسائلًا إن كان الماء يملأ قعر البئر؟ وإن كان جوليفير يغرق ويجاهد من أجل التقاط أنفاسه؟ حجب العمق والظّلام الرؤية عن فيرجيل منذ بلوغه الدّرجة السّادسة، فخطر في باله أنّ ما حدث محض خيال، وأنّ تشيت لم يرمِ الحقيبة في البئر، وأنّه سيصل إلى القاع ولن يجد شيئًا.

مضى وقتٌ طويلٌ قبل أن يتراءى القعر أمام ناظري فيرجيل حيث وجد حقيبته راقدةً على الأرض اليابسة، ولم تكن طافية على سطح المياه، فقد بدت البئر جافّة. وجد السّحاب مفتوحًا قليلًا بما يكفي لكي يتنفّس جوليفير. ضيّق الظّلام الخناق على أنفاس فيرجيل الذي عجز عن التنفّس جيّدًا قبل سماع بعض الأصوات من الحقيبة والتي اختلطت مع ضربات قلبه الصّاخبة.

وجد فيرجيل نفسه على مسافةٍ لا بأس بها من القاع، واكتشف غياب الدّرجة الأخيرة من السّلّم، فأحكم قبضته على قضبانه الصّدئة ونزل إلى الأسفل ببطءٍ شديد كي يحافظ على توازنه. أدرك أنّه وصل إلى نهاية السّلّم، ولكنّه يحتاج إلى درجتين إضافيّتين على الأقلّ كي يهبط بسلام، فهو لم يتمكّن من لمس الأرض بقدميه، وكانت الحقيبة بعيدةً تمامًا عن متناوله، ولم توحِ بوجود حركةٍ في داخلها، ولكنّه لن يترك جوليفير ويخرج من البئر مستسلمًا، فقد كانت فكرة التّخلّي عنه أسوأ من القفز.

قرّب نفسه إلى السّلّم معانقًا إيّاه، وتخيّل أنّه سيقفز إلى قبره مباشرةً. كسر صوت تنفّسه السّريع سكون البئر، وأصابته الشهقة.

تصبّب العرق من شتى أنحاء جسده، وكأنّ صنبورًا انفتح في داخله؛ عند ثنيتي مرفقيه، وبين أصابعه، وخلف عنقه، وعند جذور شعره، وراحتي يديه، وأخمصي قدميه، والمسافة بين لوحي كتفه، وفي كلّ مكان.

لقد استعدّ جسده من أجل القفز على نحوٍ غير ذي جدوى.

أنزل قدمه اليمنى وضغط بمقدّم حذائه الرّياضيّ على جدار البئر، ثمّ أنزل يده اليمنى إلى القضيب الحديديّ التّالي. وبقي على ذلك النّحو وقتًا لا بأس به لا يعرف ما يجب عليه أن يفعل، وبدا أن شيئين يتنازعانه؛ أحدهما يدعوه للصعود والآخر يدعوه للنزول. آلمته ساقه، فأنزل يده اليسرى وتجنّب تحريك قدمه الأخرى إلى أن اضطرّ إلى ذلك، فتدلّى من الدّرجة الثّالثة بعد الأخيرة وكأنّه في لعبة قضبان القرود، والتي عجز عن تجاوزها طيلة حياته.

نزل إلى الدّرجة التّالية، ومدّ قدمه كي يلمس الأرض، ولكنه لم يلمسها.

وصل إلى الدّرجة الأخيرة، حيث أضحى القفز إلى القاع سبيله الوحيد، ولكنه لم يستطع، ودارت في مخيّلته عشرات الاحتمالات؛ تخيّل نفسه قابضًا على ذراعه المكسورة باكيًا من الألم، أو أنّ كاحله التوى وبرزت عظامه إلى الخارج، أو أنّه أصيب في رأسه ومات وبقي في البئر حتّى استحال هيكلًا عظميًّا، أو جُرح فوق حاجبيه إثر ارتطامه بجدار البئر الوعرة.

بدت أمورًا ممكنة الحدوث نظرًا إلى المسافة بينه وبين القاع، حيث جوليفير.

ناداه فيرجيل، وتوقّع أن يتردد صدى اسمه في الأرجاء، ولكن ذلك لم يحدث.

نظر إلى الأعلى، ورأى فتحة البئر التي كانت دائريّةً تمامًا، حيث ضوء النّهار والهواء والطّيور ولولا والأشجار والأعشاب وعبيرها المنعش، في حين فاحت رائحة جوارب قديمة من البئر، التفت إلى جوليفير مجدّدًا، وأفلت قبضته.

قد تحصل أمور كثيرة لطفل يسقط في البئر، مثل كسرٍ في رأسه، أو ذراعه، أو قد يلوي كاحله وتبرز عظامه إلى الخارج، أو أن يسقط هاتفه من جيبه ويتحطم وهذا ما حدث.

وقع هاتفه على الأرض قرب قدميه مباشرةً، وعندما وصل إلى القاع أدرك أنه هبط سالمًا على عكس هاتفه، ولكنه توجه مباشرةً إلى حقيبة ظهره وفتحها ومدّ يده كي يطمئنّ على جوليفير ويسمع صوته، الذي أراد الهندباء فحسب، فأعطاه فيرجيل واحدةً.

قال فيرجيل: "أنت بخير"، ولكن جوليفير يعرف أنه بخير.

تباطأت ضربات قلب فيرجيل، وأسند الحقيبة إلى جدار البئر وجمع حطام هاتفه الذي انكسر إلى ثلاث قطع؛ الشّاشة، والبطّارية، وكلّ شيءٍ آخر، فجمعها معًا، فلطالما أخبرته لولا أن عليه أن يحاول قبل أن يستسلم. وضع البطّاريّة في مكانها، ولكنه أدرك أن لا أمل من شاشة الهاتف التي تصدّعت في إحدى زواياها وتشعّب الكسر مثل شبكة العنكبوت في أنحائها، فتمتم: "عجز رجال الملك وأحصنته أجمعون عن إصلاح البيضة المكسورة".

حاول تشغيله من دون فائدةٍ، فرجّه، ثمّ فكّه وأعاد تركيبه، وضغط على زرّ التّشغيل باستمرارٍ حتّى آلمه إبهامه، ولكنه لم يعمل، فوضعه في جيبه.

التفت إلى الأعلى قدر الإمكان حيث الضّوء الذي كان بعيدًا مثل غيمةٍ يعجز عن لمسها.

وقف تحت السّلّم، ومدّ يده محاولًا إمساك الدّرجة السّفليّة، ولكن المسافة كانت بعيدة بينها وبين رؤوس أصابعه. ثنى ركبتيه وقفز أعلى ما يمكن من دون نتيجة.

فكّر في نفسه: *"لن يواجه جوسيليتو أو جوليوس مشكلةً في القفز والوصول إلى السّلّم، وتخيّل نفسه مثلهما، وعرف أنه لو كان مثلهما ما كان لينتهي به المطاف هنا"*.

قفز مجدّدًا، ونظر ناحية الضّوء.

في البداية، قال بصوتٍ ضعيفٍ متردّدٍ ولكن ما لبث أن رفعه عاليًا: "مرحبًا، مرحبًا، مرحبًا".

أدرك أنّ لا فائدة من ذلك، إذ يندر أن يخرج أحدٌ إلى الغابة، وإن حدث ذلك فسيعجز المارّون عن سماعه على الأرجح.

18
الحيوان

اقتنع تشيت تمامًا أنّ ديفيد يكذب بشأن جلد الأفعى، فهو لم يجد أثرًا لوجود أيّ أفعى في الجوار. أضف إلى ذلك أنه يجهل نوعيّة الأثر الذي قد تتركه إحداها سوى جلدها، الذي عجز عن إيجاده هو الآخر. كسر غصنًا من إحدى الأشجار كي يستعمله في البحث بين الأغصان المتساقطة والأوراق الصّغيرة عن أفعى مختبئة تحتها ومستعدة للهجوم، ولكنّه لم يكن خائفًا منها لأنّه ليس جبانًا.

عجّت الغابة بموسيقاها المعتادة المؤلفة من زقزقة بعض الطّيور الغبيّة، بالإضافة إلى صوت سيارة تسير بعيدًا في الحيّ، وصوت حذائه الرّياضي وهو يبحث بدقة بين جذوع أشجار الدّردار. واظب على نبش الأرض مستخدمًا الغصن، وفجأةً سمع صوتًا مختلفًا، وبدا أنّه صوت أحدٍ أو شيءٍ يتحرّك خلسةً بين الأشجار.

توقّع أنّه يوشك على مواجهة دبٍّ رماديّ، ولكن أدرك سريعًا سخافة هذه الفكرة.

تشجّع واستجمع قواه وتذكّر أنّه ليس جبانًا، رغم تسارع ضربات قلبه.

عدّل وقفته كي يمسح المنطقة جيّدًا عندما لم يظهر شيء، فأنصت وسمع الصّوت مجدّدًا، ولكن من اتّجاه آخر. واصل المجهول الحراك مرارًا وتكرارًا محدثًا ضجّةً أكبر.

هدّأ تشيت روعه ورفع الغصن كما يرفع السلاح وقال: "من هناك؟"، وكان صوته هادئًا وهامسًا بحيث لم يسمعه أحد.

أخيرًا؛ اتّضح الأمر في ذهنه؛ لعلّه ذاك الولد الغبيّ النّحيل الأبكم صاحب حقيبة الظّهر، الذي ينحدر من الصّين أو من أي بلد كان. ربّما يحاول شقّ طريقه إلى المنزل، وأراد التواري عن الأنظار، وكان هذا التّفسير منطقيًّا تمامًا. فلنواجه الأمر. يعجز ذلك الفتى عن مجاراة تشيت بولينس.

استعاد تشيت ثقته التي سرت في شراييه حتّى صدره وكتفيه.

قال: "هل هذا أنت أيّها الأحمق؟ تتسلّل عائدًا إلى متجر الكتب؟".

وقهقه كأنّ ذلك أطرف شيءٍ قاله خلال اليوم. اعتقد في نفسه أنّه قد يصبح فنّانًا هزليًّا ناجحًا مع كلّ تلك النّكات المضحكة.

انتظر تشيت وترصّد الأشجار، فهو يتحوّل محاربًا أو قائدًا عسكريًا عند التّفكير في أنّ الخوف يدفع أحدهم إلى التّسلّل والاختباء. في بعض الأحيان، قبل أن يخلد إلى النوم يتخّيل نفسه فارسًا مدرّعًا خارق القوة من العصور الوسطى يمتطي حصانًا عظيمًا، ويصوّب سيفه الجيّد الصّنع إلى أحدهم قائلًا: "اذهب وأحضر لي بعض الماء أيّها الفلّاح". ولكن لا فلّاحين هنا، ولذلك يستعمل كلماتٍ مثل أحمق وغيرها. وكان وصفهم بالحمقى ملائمًا؛ فهم امتلكوا آذانًا كبيرةً، ولكنّها تفي بالغرض.

صاح تشيت: "تستطيع الهروب وليس الاختباء". لعلّ هذه العبارة ليست من بنات أفكاره، ولكنّها جلّ ما استطاع قوله في هذا الوقت القصير.

استمر الضّجيج ولم يظهر أحد.

التفت تشيت إلى الاتّجاه المعاكس تمامًا، واعتقد أنّه سمع مرة أخرى شيئًا من هناك، فرآها. لقد كانت فالنسيا سومرسيت.

ألقى تشيت الغصن، واتّجه إلى أقرب شجرةٍ، وأقنع نفسه بأنّه يسترق النّظر إليها، ولكنّه في الحقيقة كان مختبئًا، إذ أخافته تلك النّظرة التي رمقته بها في سوبر سيفر. وها هي الآن في الغابة وتحمل معها وعاءً.

كان واضحًا أنّها لم تنتبه لوجود تشيت، فقد كانت تركّز على شيء آخر، وكأنّها تقطف أوراق النّبات كل واحدة على حِدَة. مشت ببطءٍ وحذرٍ كي تتجنّب إزعاج أي مخلوق في المكان، وكانت تحمل الوعاء معها وهي تمشي.

بدا جليًّا أنّها تبحث عن حيوانٍ ما، أو مخلوقٍ من نوعٍ غريب.

اختبأ تشيت جيّدًا خلف الشّجرّة كي لا تراه.

هل تمارس نوعًا من طقوس التّضحية؟

تذكّر النّظرة الغاضبة الملتهبة في عينيها، وأدرك أن هناك خطبًا في دماغها وليس في أذنيها فقط.

جلس القرفصاء وراقبها عبر الأشجار، ثمّ وقف ودقّق النّظر، وتساءل عما يحتويه هذا الوعاء.

لعلّه يحتوي على بعض الأصابع البشريّة، أو على مجموعة من أقدام الدّجاج. وربّما بترت آذان الأرانب كي تطعمها إلى بعض الحيوانات الغامضة كبيرة الأقدام والتي تعيش في الغابة.

إنّ الفتاة الصّماء شريرة، وهناك شيءٌ مريبٌ بشأنها.

استجمع شجاعته كي يصدر صوتًا يشبه صوت الحيوانات، فلوى لسانه وأطلق صوتًا يشبه نعيب البوم، ورفع صوته تدريجيًّا، ولكن فالنسيا لم تُحرك ساكنًا، أطلق الصوت مجددًا ولكن فالنسيا لم تظهر أي ردّ فعل، وتابعت المشي بتؤدة حاملةً الوعاء.

فكّر تشيت في بعض التّفسيرات المنطقيّة؛ ربّما تهتم ببعض القطط الضّالّة، ولكنّه لم يرَ أيّ قطة، بل رأى بعض السّناجب، ومن سيحضر وعاءً إلى الغابة كي يطعم السّناجب؟ فاستنتج من ذلك أنّ فالنسيا تُضمر شرًّا.

19
فالنسيا

أنا أتحسّس الغابة ولا أكتفي بالمشي فيها. أشعر باحتكاك الأوراق التي تحملها الرّياح بجلدي، وتسري الرعشة الناتجة عن تكسّر الأغصان تحت قدميّ في جسدي. عجزت عن إيجاد ساكرد، ولكنه قريبٌ من هنا، هل هو إلى يميني أم إلى يساري؟ هززت الوعاء، وشعرت بالخشخشة الصادرة عن رقائق الذّرة رغم عجزي عن سماع صوتها، ولكنني أعلم أنّها ستخرج ساكرد من مخبئه.

ناديته: "ساكرد، ساكرد؟".

تساءلت: هل يفترض بي أن أبتكر اسم إشارةٍ من أجل ساكرد، إذ تتعلّم الكلاب لغة الإشارة بسهولةٍ، وربّما أسرع من الإنسان، اعتقد أنني قرأت ذلك في مكانٍ ما.

بدأت أتعلّم لغة الإشارة لأنني قرأت عن أناس صمٍّ يعرفون اللّغة الأمريكيّة المحكيّة ويعرفون كيفية الإشارة بواسطتها، وأردت أن أكون مثلهم. ولكن الأمر صعب عليّ لعدم وجود معلّم يعلّمني. لقد حاولت التعلّم عبر الإنترنت ولكنني واجهتُ صعوبةً في تشكيل الجمل باستثناء: "كيف حالك؟ وما هو اسمك؟". ذات مرة، طلبت من والديّ أن يسمحا لي أن أتلقّى دروسًا في لغة الإشارة، وأظنّ أنّهما وجدا الأمر قليل الأهمية في ظل وجود السّماعة، ولكن السّماعات لا تعمل تلقائيًّا، إذ يجب أن أرى وجوه النّاس كي أستطيع ربط حركة أفواههم مع الأصوات التي لا أسمعها مثل قطعتي أحجية، ويقول النّاس دومًا: "أجل نعلم ذلك"، عندما أذكّرهم بأن عليهم النظر إليّ والتّروّي في

كلامهم، ولكنهم لا ينسون ذلك، وهذا يشمل والديّ مع أنهما لا يقصدان ذلك. أنا الوحيدة التي أتذكر ذلك دومًا، أنا الوحيدة التي أحلّ هذه الأحجية.

ناديت ساكرد مجدّدًا وانتظرته لبعض الوقت. وأخيرًا، خرج من بين الأشجار وقد غمرته السّعادة كالعادة عندما يراني، وأسرع مهرولًا مثل حصان محرّكًا ذيله الأسود إلى الأمام والخلف، ودفع يدي بأنفه البارد قبل أن ينقضّ على الطّعام في الوعاء.

استغرقه الأمر وقتًا لينهي الطعام، فجلست القرفصاء وفركت خلف أذنيه ومسحت على فرائه الخشن الرّطب. بدا وكأنه تمرّغ على العشب في مكانٍ ما، ولكنني لست متأكدة. فمن يدري ماذا يفعل ساكرد في غيابي؟

أرفض تمامًا فكرة أن أكون كلبًا يومًا ما، إذ تتناول الكلاب كلّ شيءٍ بعكسي تمامًا، فأنا أكره تناول الأفوكادو، والدرّاق، والفاصولياء الخضراء أو البازلّاء. وأحبّ تناول الذّرة المغطّسة في الزّبدة مع رشّةٍ من الملح من دون أيّ إضافاتٍ أخرى، بالإضافة إلى البيتزا البسيطة قليلة المكوّنات، وأحبّ تناول ثمار الكليمونتين وليس البرتقال، رغم أنّ مظهرهما نفسه تقريبًا. ولكن الكليمونتين أكثر حلاوةً من البرتقال.

قلت: "أنت كلبٌ جيّد يا ساكرد".

تقتصر صداقتي مع ساكرد على إطعامه، ولكنني لا أظن أن حاجته إلى الطعام هي ما يُقربه مني فحسب، فهو لا يغادر مباشرة بعد الانتهاء من تناوله الطعام، بل يرافقني لبعض الوقت، فيمشي عندما أمشي، ويجلس عندما أجلس. وهو يعرف دائمًا بطريقة ما، موعد ذهابي إلى المنزل فيشقّ طريقه إلى مكانٍ ما حيث يستطيع التمرّغ على العشب أو أيًّا يكن ما يفعله في عزلته.

مشينا معًا عبر أرضٍ مقطوعة الأشجار، وأخبرته آخر التّطوّرات في حياتي.

قلت: "لقد انتهى العام الدّراسي، وفي اليوم الأخير، اندفع الجميع مسرعين خارج المدرسة. يجب أن أكون أكثر حماسًا مثلهم، ولكنني لست كذلك. لا أقول إنني أحبّ المدرسة، ولكنني بالمقابل لا أكرهها، إذ تملأ وقتي على الأقلّ.

إليك بعض الأخبار السارة، وهي أنني سآتي إلى هنا أكثر كي أطمئنّ عليك. يا ليتك تستطيع مرافقتي إلى منزلي. أو أيّ منزلٍ جميل، ولكن سيكون ذلك ثاني أفضل شيءٍ قد يحدث".

وصلنا إلى جذع شجرةٍ سبق له أن سقط على الأرض بين شجرتين، وهو أحد الأماكن التي أفضّل الجلوس فيها، جلست هناك، ورقد ساكرد بالقرب من قدميّ.

قلت: "جاء شخصان إلى منزلنا حاملين كتيّباتٍ من الكنيسة. بعد أن أتركك سأذهب وأزور عرّافةٍ تدعى كاوري تاناكا".

أخرجت يوميّات علم الحيوان وقلم الرّصاص من حقيبتي بعد أن أطلعت ساكرد على آخر المستجدّات، إذ جئت إلى هنا كي أسجّل ملاحظاتٍ عن السّناجب. أحبّ تقمّص شخصيّة جين غودال، باستثناء أنني أهتم بالسّناجب لا الشّمبانزي، ولكنني أعتقد أنّ وجود بعضها هنا سيكون أمرًا جميلًا، وأشكّ في ذلك أو في وجود أيّ منها في الولايات المتّحدة، سوى في حديقة الحيوانات.

يجب أن أبحث عن الأمر في وقت لاحق. كتبت في يوميّاتي: ***أين تعيش قردة الشّمبانزي؟*** ورسمت نجمةً إلى جوار هذا السّؤال، وهذا يعني أنّ عليّ البحث عن هذا الأمر في وقت لاحق. أنا أعمل على نحوٍ منظّمٍ تمامًا، وهذا ما يجب أن يكون عليه من يريد دراسة الحياة البريّة، وإلا ستستحيل ملاحظاته كارثيّة.

أكره أن أعترف بأنني بدأت التّدوين عن الحيوانات بفضل روبيرتا التي أعطتني كتاب ***مشهورون صمّ من التّاريخ***. لقد حضرت حفل عيد ميلادي لأن والدتها أجبرتها على الحضور، كما حصل مع معظم الفتيات، ولقد تبيّنت الأمر. في السّابق كنّا أفضل صديقتين رغم مضايقتها إيّاي كثيرًا، كما أحبّت استكشاف الغابات والتّظاهر بأنّنا مغامرتان، ولكننا لم نعد كذلك الآن، إذ تستخدم حاليًّا مستحضرات التّجميل كالمسكرة، وملمّع الشّفاه، وترتدي الفساتين الصّيفيّة.

تخاف روبيرتا من الأفاعي، وقد أخبرها والدها ذات مرة أن هناك أفاعي في الغابة، فأصبحت تخاف الذهاب إلى الغابة، أما أنا فحاولت، قدر المستطاع، تعلم الأمور التي تساعدنا على تلافي عضات الأفاعي، ودوّنتها في دفتر يومياتي كي أشعرها بالثقة، وهذا ما تعلمته:

1. إيّاك واستفزاز الأفعى أو نكزها بواسطة العيدان أو ركلها أو أيّ شيءٍ من هذا القبيل، إلّا إن أردتها أن تعضّك.

2. إيّاك وإمساك أفعى من ذيلها.

3. ابتعد عن الأعشاب الطّويلة.

4. تجاهل الأفعى إن رأيتها وابتعد بهدوءٍ. تعضّ الأفاعي معظم الذّين يحاولون إلقاء نظرةٍ قريبةٍ عليها أو إمساكها.

5. اطلب العناية الطّبيّة مباشرةً إن تعرّضت إلى عضة أفعى.

أطلعت روبيرتا على هذه المعلومات، فتحسّنت حالها، فالحياة تبدو أسهل عندما تستعد من أجل الأيام القادمة.

يا ليتني كنتُ مستعدّةً من أجل يوم انتهاء صداقتي مع روبيرتا.

هل سبق لك أن شعرت بالألم الذي يشعر به شخص كان يلعب معك، وتركك ليلعب مع أشخاصٍ آخرين؟ وفي النهاية انتهت صداقتكما، وأنت تعجز الآن عن تذكّر متى حدث ذلك؟

ولكن العكس تمامًا حدث معي، فأنا أتذكّر تاريخ ذلك اليوم تمامًا: لقد كان في الرّابع من شهر كانون الأوّل في الصّفّ الرّابع، إذ لعبتُ مع روبيرتا والأخريات لعبة المطاردة، وبذلت قصارى جهدي لأجاريهن، ولكن جاءتني روبيرتا بعد انتهاء اللّعبة وقالت: "لا نريد اللعب معك مرة أخرى".

سألتها عن السّبب الذي كنتُ أعرفه.

أجابتني: "إنّ التّعليمات الثّلاث صعبةٌ جدًّا، وأنت بطيئةٌ للغاية".

تعودنا أن نسمي أسلوب الكلام الذي يجب على الآخرين تطبيقه كي أفهم ما يقولونه "التّعليمات الثّلاث": انظر إليّ، ولا تغطّ فمك، وتحدّث بوضوح.

وأدركت معنى أنني بطيئةٌ أيضًا.

لقد عجزت عن تحديد متى تصيح ميغان لويس: "جاهزون، استعدّوا، انطلقوا!"، فأنا أراها تستعدّ كي تصرخ، ولا أعرف متى تتلفظ بتلك الكلمات الثلاث. كما فشلت في معرفة متى تتوقّف الموسيقى في لعبة الكراسي الموسيقيّة، وأنا أتأخر قليلًا في معرفة متى تنتهي مهلة الاختباء ويبدأ البحث في لعبة الغمّيضة، فتتباطأ وتيرتها. لقد عرفت ذلك واعتقدت أنني أخدع الجميع، ولكن تبيّن أنّهم يعرفون ذلك أيضًا. وكانت روبيرتا صريحةً معي عندما قالت: "لعلّك تستطيعين إيجاد أصدقاءٍ جدد"، وكأنّ قطع أصابعي سيساعد في نموّ غيرها.

لقد أحزنني ذلك، فأمضيت تلك الليلة أبكي في حضن والدتي التي أخبرتني أنّ الأصدقاء الحقيقيين سيجدون لعبةً تستطيعين مشاركتهم إياها. لا أحتمل سماع تلك الكلمات تخرج من فمها، فأنا أعتقد أنّها لا تدرك أنّ الأصدقاء السّيئين أفضل من لا شيء، كما أنني أعتقد أنّ أولئك هم أصدقائي الحقيقيّون في المقام الأوّل، وذلك ما حملني على البكاء.

ولكن الأمور الآن تسير على نحوٍ رائع رغم وحدتي.

أعلم أنني دعوت القدّيس رين أن يمنحني صديقًا يحميني من كاوري تاناكا في حال كانت شخصًا خطيرًا، ولكنني تجاوزت ذلك وأنا في حال جيدة الآن. وها أنا أرسم في يوميّاتي، وأبحث عن السّناجب برفقة كلبٍ وفيّ يجلس قرب قدميّ، ولا يهتمّ إن لم أسمعه، ولا يحتاج إلى التّعليمات الثّلاث بخصوص طريقة الكلام.

ماذا يمكن أن أريد أكثر من ذلك؟

20
مسألة الصّراخ

لا يستطيع فيرجيل أن يتذكر أنه سبق له الصراخ في حياته، مع أنه يتمتع بذاكرة حادة، ولكنه واثق أنه صرخ يومًا ما، فهل هناك أحد يبلغ الحادية عشرة من العمر لم يسبق له أن صرخ ولو لمرة واحدة؟

فكّر أن يسأل والدته إن صرخ عندما كان رضيعًا، فهي تعرف ذلك بالتأكيد.

تعودت والدته أن تقول بين الفينة والأخرى: "أنت أكثر الأطفال هدوءًا في تاريخ عائلة ساليناس.

كما يجب أن نعلّمك الكلام عند العودة إلى المنزل، وإلّا لن يراك أحدهم وقد يسحقك جاموسٌ أو عربة ركّاب". تضحك والدته دومًا على هذه العبارة مع أنه سبق لها أن قالتها مليون مرة، ومع ذلك لم يجدها فيرجيل مضحكة، إذ لا شيء مضحكًا في أن يسحقه ثورٌ أو عربة ركّاب، بل هو أمرٍ فظيع. مع أنه لم يكن يعلم في ذلك الحين معنى هاتين العبارتين تمامًا.

لم يكن والداه يكرهانه، ولكنه تساءل عن سبب تمسّكهما بعبارة "خروجه من قوقعته". لماذا القوقعة برأيهما سيئة؟ فالسلاحف تعيش في القواقع منذ مئة مليون سنة، وهي بذلك سابقة في وجودها على الأرض للأفاعي والتماسيح، كما أنها تعيش لفترة أطول منهما. فالسلاحف الأمريكية تعيش لأكثر من مئة سنة، وتملك حاسّتي بصرٍ وشمّ حادّتين.

إنّها حيواناتٌ استثنائيّة. ماذا كان سيحصل إذا أجبر النّاس السّلاحف على الخروج من قواقعها منذ مئة مليون عام؟ ربّما كنّا لنقرأ عنها ونرى صورها فحسب في كتب تاريخ الطّبيعة إثر

انقراضها.

استند فيرجيل إلى جدار البئر العفنة. ولاحظ ارتفاع محيط القاع قليلًا عن مركزه، ولكن ذلك لم يساعده في زيادة طوله كي يصل إلى السّلّم. تردّد في الجلوس على الأرض، لأن جلوسه يعادل استسلامه؟

في تلك اللّحظة، تساءل عن الوقت، وهل يفترض به أن يصرخ، وهذا ما بدا له تصرفًا منطقيًا. فتح فمه، ولكنه تخيّل أنّ صرخاته صعدت عاليًا واندفعت بين الأشجار محرّكةً أوراقها ومخيفةً الطّيور قبل أن تصل إلى أذني تشيت بولينس الكبيرتين القذرتين، والذي انطلق لاهثًا يشتمّ كالذّئب عائدًا إلى البئر، وأحكم إغلاق الغطاء حابسًا إيّاه إلى الأبد.

فضّل فيرجيل الانتظار قليلًا ليضمن أن الثور قد غادر إلى منزله، ولكنّه أدرك أن هناك خطبًا ما في خطّته، فهو لا يعرف مقدار القليل الذي يجب عليه أن ينتظره. إنه لا يحمل ساعة، وهاتفه معطل، لذلك قرّر اتّباع إحساسه بالوقت، وتساءل إن مضت عشر دقائق أو أربعون على وجوده هناك؟ بدا واثقًا من ضعف قدرته على قراءة الوقت سواء كان معه ساعة أم لم يكن. في عصر أحد الأيّام أُحبط والده من ذلك ورفع ذراعيه مستسلمًا وقال: "يا إلهي! لا تكمل يا فيرجيلو، تعلّم كيفيّة معرفة الساعة من دون النّظر إلى الدّقائق".

لم يعرف فيرجيل إن كان في بداية السّاعة أم في وسطها أم في نهايتها. جلّ ما عرفه أنّ قدميه تؤلمانه، وأنّ الشّمس قد خفّ نورها، فأرجع رأسه وصاح: "مرحبًا! مرحبا!". لم يبدُ صراخه مرتفعًا جدًا، وتساءل إن سمعه أحد. لقد احتاج أن يرفع صوته أكثر.

صاح: "مرحبًا! مرحبًا!".

توقّف شاربا جوليفير عن الحراك وثبّت عيناه السّوداوان المدوّرتان على فيرجيل من مكانه وسط حقيبة الظّهر التي ارتداها الأخير على بطنه كي يستطيع الاستناد إلى الحائط والاطمئنان على جوليفير في الوقت نفسه.

صرخ فيرجيل: "مرحبًا! مرحبًا! النّجدة! النّجدة!".

كانت تلك المرّة الأولى التي يطلب فيها المساعدة، لقد بدا ذلك غريبًا، ولكنّه يحتاج إليها حقًّا الآن. استجمع ما استطاع من قوة، وتنفس بعمق، وأطلق أعلى صرخة يستطيع أن يُطلقها: "النّجدة! النّجدة!".

لقد أجفل من صوته الذي تردّد صداه في شتى أنحاء جسمه وصولًا إلى أصابع قدميه. من يدري أنّه يستطيع الصّراخ إلى هذا الحدّ؟

يا ليت والداه يسمعانه.

21
فالنسيا

إنّ السّناجب حيواناتٌ دائمة الانشغال، بل هي أكثر الحيوانات انشغالًا على وجه الأرض، ويسبّب لها هذا الانشغال النسيان. ذات مرة قرأت أنها تمضي معظم وقتها في تخبئة البلّوط من أجل الأيام التالية، ولكنّها تنسى مكانها، وبذلك تنمو أشجار بلّوطٍ جديدة. أنا متأكّدةٌ من وجود آلافٍ أو ملايين ثمار البلوط مدفونة في هذه الغابة. إذا بقيت وحيدًا على وجه الأرض، كما في كابوسي، من دون كهرباءٍ أو خضار، فسأحفر الأرض بحثًا عن ثمار البلّوط المنسيّة، وأقتات عليها أشهرًا وربما سنواتٍ، وسيتساءل النّاس في الحضارة التّالية عن كيفيّة بقائي على قيد الحياة طوال هذه الفترة، فأجيبهم أنني وجدت ثمار البلّوط المدفونة جميعها، فيقولون في أنفسهم: "يا إلهي!، إنّها ذكيّةٌ حقًّا".

في البدء، ظننت أنّ السّناجب تعيش على الأرض، ولكنني تعلّمت من ملاحظتي أنّها تستخدم الأغصان اليابسة والأوراق كي تصنع أعشاشًا لها في الأشجار، والتي تبدو للوهلة الأولى شبيهة بأعشاش الطيور. يا ليتني أستطيع تسلّق إحدى الأشجار وألقي نظرةً قريبةً عليها، ولكن ذلك صعب، لأنني سأسقط على الأرجح من ارتفاع أربعين قدمًا وأكسر سبعًا وعشرين عظمةً أو نحو ذلك. أضف إلى ذلك أنني لا أريد التّدخّل في سير الطّبيعة، مع أنني أفعل ذلك عند الضرورة القصوى في بعض الأحيان. فعلى سبيل المثال، جمعت منذ بضع دقائق قليلًا من البلّوط ووضعته قرب جذع شجرة البلّوط إلى جوار الجذع الذي أجلس عليه.

أردت رؤية ما ستفعله السّناجب بها، وخمّنوا ماذا حدث؟ بعد بضع دقائق، أسرع سنجابٌ إلى الأسفل، وأخذ بعضها، وعاد أدراجه. لا بدّ أنّ لديه شيئًا مثل رادار البلّوط.

تنتمي السّناجب إلى عائلة القوارض، فتساءلت إن كانت كلّ القوارض تحبّ البلّوط، ولكن لم يسبق لي أن رأيت جرذًا مع ثمرة بلّوطٍ. كما تساءلت عن سبب عدم وجودها في الغابة.

كتبت في يوميّاتي:

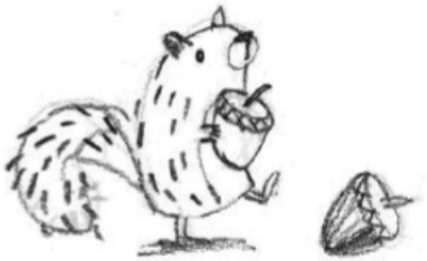

* هل تحبّ بقيّة القوارض البلّوط؟
* لماذا لا أصادف جرذانًا في الغابة؟

اقترب موعد لقاء كاوري، وسأكذب إذا قلت إنني لست متوتّرةً. نهضت ووضعت يوميّاتي في حقيبتي، وأغمضت عينيّ.

قلت: "أيّها القدّيس رين، سأذهب لرؤية كاوري تاناكا، وأنا أريد أن أطلب منك شيئين. الأول أن تحميني من أي شر، والآخر أن تساعدها لتساعدني في التّخلّص من كابوسي كي أنعم بصيفٍ جميلٍ، أو صيفٍ مع نومٍ هادئٍ خالٍ من الكوابيس".

فتحت عينيّ، وتنفّست الصّعداء، وبدأت رحلتي إلى الطّرف الآخر من الغابة. كنتُ مستغرقة في أفكاري فلم أنتبه إلى البئر القديمة مع أنني أراها دائمًا، نظرًا إلى كونها على قائمة أشيائي المفضّلة. أعتقد أنّها تعود إلى فترة الاستعمار، لكنني لست واثقةً من ذلك. ربّما ساعدت الصّخور التي بنيت منها في الحفاظ عليها. وتوضّع فوقها غطاءٌ خشبيّ ثقيل، أزاحه أحدهم قليلًا من مكانه المعتاد، ولذلك بدا مظهره مختلفًا.

مشيت ناحية البئر، وأنا متأكّدةٌ من أنّها مفتوحة. يبدو أنّ أحدهم كان يعبث هنا.

وها هو الدّليل: لقد وضع أحدهم بعض الحجارة على حافّة البئر. أراهن أنّ أحدًا فتح الغطاء كي يرميها إلى الأسفل. بدا ذلك أمرًا مملًّا لفعله في فترة بعد الظّهر، ولكنني جرّبته على أيّ حال، ورميتها واحدًا تلو الآخر.

كان القاع مظلمًا جدًّا جدًّا.

أعادني ذلك إلى كهوف الكريستال، ولكن شيئًا مريبًا حصل هنا ولم أعرف ما هو. ارتعدت فجأةً وسحبت يدي عن الحافّة.

هل سمعت شيئًا؟ أمّ أنني تخيلت ذلك؟

خطوت خطوةً واحدةً إلى الخلف، وكأنّ شيئًا سينقضّ عليّ من البئر، ثمّ انحنيت إلى الأمام وحدّقت مجدّدًا، ولكنني لم أرَ شيئًا سوى الظّلام. في بعض الأحيان أحسّ بالأصوات التي أعجز عن سماعها، ولكن هل أحسّ بشيء الآن؟

عليّ أن أضع الغطاء في مكانه، فقد أزعجني تحريكه، وقد يسقط في البئر حيوان ما. ماذا لو نزل سنجابٌ كي يستكشفه وفشل في الصّعود؟

بارك القدّيس رين الأطفال ولذلك يستطيع حمايتهم، وهذا ما رأيته في نفسي أمام السّناجب. لا أقول إنني شجاعة مثل القدّيس رين، فهو اختُطِف وتعرّض إلى أمورٍ كثيرةٍ، ولكنني أرغب أن أكون مثله. أعلم أنّ السّناجب تستطيع الاهتمام بأنفسها معظم الأوقات، ولكن هذه البئر المفتوحة ستربكها.

أجل، من الأفضل أن أغلقها، وهذا ما فعلته.

شعرتُ بشيء غريب لم يبرحني حتى بعد أن غادرت الغابة وعبرت الشّارع إلى منزل كاوري.

22
تخيّل أنّك في مكانٍ آخر

إنّ الظّلام وحشٌ يعضّ وأسنانه حادّة، وها هو فيرجيل قابع في أعماق حلقه. عجز عن رؤية يده أمامه، لأنّ الضوء اختفى ولم يبقَ منه بصيص.

قال: "يريد الثّور أن يقتلني".

ما كان ليصدق أن شيئًا مثل هذا يمكن أن يحصل في الواقع، ولكن هل هناك تفسيرٌ منطقيّ آخر؟ لقد وصل صراخه من أجل طلب المساعدة عبر الأشجار إلى أذني الثّور القذرتين كما توقّع تمامًا. حمى فيرجيل جوليفير عندما تساقطت الحجارة، ثمّ خيّم الظّلام على المكان. أراد الثّور السّخرية منهما ثمّ قتله. إنّه التّفسير المنطقيّ الوحيد، وإلّا من سيقدم على شيءٍ مثل هذا؟

تسارعت ضربات قلبه كثيرًا، وفكّر في إمكانيّة تعرّض طفلٍ في الحادية عشرة من العمر إلى أزمةٍ قلبيّة، وعجز عن الّتنفّس أيضًا، إذ ضيّق الظّلام الخناق على رئتيه، فسعل واحتضن حقيبة ظهره بكلتا ذراعيه، وكأنّها طوق نجاة. اكتفى جوليفير بالسقسقة، فهو يعجز عن قول شيءٍ آخر، ولعلّه يعني الوداع.

صمت جوليفير، في تلك اللّحظة ملأ نحيبٌ البئر مع لهاثٍ وشهقات. فيرجيل مذعورًا في الأرجاء عن مصدر الصّوت قبل أن يتبيّن أنّه صوته.

فأدرك أنّه سيموتُ بسبب أزمةٍ تنفّسيّةٍ وليس قلبيّة، وربّما بسببهما معًا.

أصبح تنفّس فيرجيل سطحيًّا، وسعل واختنق في الوقت ذاته.

قال في نفسه: "اهدأ، اهدأ"، كانت كلماته متقطّعةً بسبب السعال، ولكنّها أفلحت نسبيًّا، واستطاع التّنفّس قليلًا. في تلك الأثناء، تجنّب فيرجيل إفلات حقيبته وأقنع نفسه أنّه يحمي جوليفير، ولكن العكس هو الصّحيح.

خيّم الهدوء التّام على قعر البئر، ولم يدرك فيرجيل مقدار الضّجيج في العالم قبل غيابه، كصوت السّيارات البعيدة، وهدير أجهزة التّكييف، أو زقزقة العصافير، أو حتّى حفيف أوراق النباتات.

جلس في المكان المنخفض من الحافّة وقال: "هذه هي النّهاية، وسيستمرّ نسل أسرة ساليانس إلى الأبد، ولن يدري أحدٌ وجودي هنا أو ماذا حلّ بي، ولكنّهم سيذكرون وجود ولدٍ يدعى فيرجيلو في أسرتهم". سترقد عظامه في هذه الحفرة إلى جوار عظام جوليفير الصّغيرة، التي ستبدو كالخيوط النّاعمة.

جفّ حلق فيرجيل، وأحسّ بالثقل الشديد في رأسه، وكأنّ أحدهم وضع حجرًا عليه وطلب منه موازنته. فتح فمه كي يتنفس بعمق، ولكنه عجز عن ذلك، وبدا أنّ الهواء يملأ رئتيه ويخرج عن آخره بسرعة، وقد نال منه التّوتّر والخوف تمامًا.

زادت الرّائحة الطّين بلّةً أيضًا، والتي نتجت عن العفن والمياه القديمة الرّاكدة. ذكّرته برائحة مغسلة المطبخ عند انسداد مصفاتها.

أغمض عينيه وقال في سره: "*تخيّل أنّك في مكانٍ آخر*". تعودت والدته إخباره ذلك عندما راودته الكوابيس في طفولته، وذلك قبل إدراكهما أنّه أقلّ مستوىً من أخويه، وتسميته "السّلحفاة".

تخيّل نفسه في غرفة النّوم برفقة جوليفير الذي يعبث في عبوة مياهه، ثمّ انتقل إلى منزل كاوري وغرفتها ذات البساط الدّائري والبخّور الذي تشبه رائحته رائحة الورد المحترق، ثمّ تخيّل لولا جالسةً إلى الطّاولة تقرأ الصّحيفة وتهزّ رأسها.

أوشك التّخيّل أن ينجح في تهدئته، ولكن أذني فيرجيل المفتوحتين واللّتين وجب إغلاقهما بدل عينيه أعاقتاه، إذ تناهى إليهما صوتٌ بعيدٌ في الظّلام.

تجاهله فيرجيل واعتقد أنّه جوليفير، ولكنّه يعلم صوت الأخير الهادئ البسيط الذي اقتصر على الصّرير عند الجوع والسّقسقة عند الفرح.

لا تقوم الخنازير الغينيّة بكثير من النشاطات، كما أنّها لا تعبث بأيّ شيءٍ إن لم تملك شيئًا كي تعبث به.

كرّر فيرجيل في رأسه: "*تخيّل نفسك في مكانٍ آخر، تخيّل نفسك في مكانٍ آخر*".

عاد إلى غرفته الخياليّة، ولكنّها اختفت فور أن فكّر فيها، وكذلك بساط كاوري الدّائريّ، وحتّى لولا وطاولتها.

ما كان ذلك الصّوت؟

إنّه صوت أجنحة تخفق، ولعلّها أجنحة سربٍ من الخفافيش التي ستلتهمهما بأسنانها الحادّة.

ارتفع الصّوت أكثر.

لم يجرؤ فيرجيل على فتح عينيه، وتصلّبت قدماه، ووهنت ساقاه، فأغلق فمه واقتصر تنفسه على أنفه، مع أنّه عانى من فرط تهويةٍ في الحقيقة ولم يكن تنفّسًا طبيعيًّا.

انتشر صوت أنفاسه السّريعة عديمة الفائدة من منخريه إلى شتى أنحاء البئر، وازدادت شدّة الضّجيج، وأدرك أنّها ليست خفافيش.

لقد امتلك هذا الشيء الذي يُصدر الصوت ريشًا، ويمكن لجناحيه أن يغطيا قريةً كاملةً.

لقد كان باه.

23
مسألة الوقت

كانت كلمة "بدو" الكلمة الأولى التي نطقتها كاوري تاناكا رغم أنّ دماءها ليست بدويّة على حدّ علمها، وهي التي ورثت عن والديها حس تقدير الوقت. تمثّلت أولى مهامها كأختٍ كبيرةٍ في تعليم جين قراءة السّاعة، ولكن الأخيرة افتقرت لسوء الحظ إلى المهارة الكافية من أجل ذلك.

منذ بضع سنواتٍ، وبعد ظهر أحد الأيّام حدث أن رسمت كاوري ساعةً على قطعةٍ من الورق، وسألت جين التي بدأت حينها في التّعلّم: "كم السّاعة يا جين؟". يعرف أي شخص أنّها تشير إلى الثّالثة والنّصف، وهي ذروة ساعة السّحر؛ الوقت بين السّاعتين الثّالثة والرّابعة صباحًا، ويعتقد النّاس أن بعض المخلوقات كالجن والشّياطين تكون في أقصى طاقتها في تلك السّاعة، ويكون السّحر الأسود أكثر فعاليّة. ولكن جين حدّقت إليها بصمتٍ، وجلست ومدّت ساقيها أمامها وأمسكت أصابع قدميها. لقد كانت فتاةً مرنة دومًا.

قالت جين: "لا أدري، ولكن من يهتمّ؟ أنا أستطيع النّظر إلى هاتف والدتي أو المايكروويف وأحصل على الوقت مباشرةً بشكل رقمي".

قالت كاوري: "تملك هذه السّاعة أرقامًا".

أجابت جين: "ولكنّها لا تخبرني الوقت مباشرةً".

تنهّدت كاوري: "لن تكون الحياة سهلةً دومًا كما تعلمين يا جين".

كانت تلك محاولة كاوري الأولى والأخيرة لتعليم جين قراءة السّاعة، ولكنّها واظبت دومًا على تنبيهها بأنّ التزام الشخص بمواعيده بدقة هو من أهمّ الصفات الجيدة.

قدّرت كاوري دقّة فيرجيل في المواعيد، فهو سيصل في الثّامنة والنّصف وأربعين ثانيةً إن أخبرك ذلك، أو أبكر في بعض الأحيان، ولن يتأخّر أبدًا ولو لدقيقة واحدة، لذلك عرفت كاوري وجود خطب ما عندما تأخّر خمس عشرة دقيقةً عن موعدهما.

أخبرت كاوري جين: "ليس من عادته التّخلّف عن المواعيد، وهو لم يعتذر عن القدوم، وهذا أمرٌ مريب، خاصّةً في ظلّ علمه قدسيّة الوقت بالنسبة إليّ، وأن لديّ مواعيد مع زبائن آخرين". وقفت الأختان متجاورتين مقابل نافذة غرفة المعيشة تحدّقان عبر السّتائر، في انتظار ظهور فيرجيل النّحيل الصّغير عند المدخل.

قالت جين: "لعلّه نسي الموعد".

قالت كاوري: "أشكّ في ذلك".

قالت جين: "لعلّ والداه أرغماه على فعلٍ شيءٍ آخر، ولم تتسنَّ له فرصة إخبارنا".

بدا ذلك محتملًا، إذ امتلك الأهل طريقةً في التّدخّل في كلّ شيءٍ وتخريبه، ولكن مع ذلك...

قالت كاوري: "هناك أمرٌ مريب، إذ وجب أن يرسل أو يفعل شيئًا". فتحت الباب الأماميّ، ووقفت في الخارج عاقدةً ذراعيها وباحثةً في أنحاء الشّارع بعينيها السّوداوين الصّغيرتين. أثبت ذلك التّصرّف مستوى قلقها، فهي لم يسبق لها أن انتظرت أي زبون في الخارج، وطلبت كلمة السّر دومًا، إذ يجب أن تحمي نفسك عند امتلاكك الحاسّة السّادسة، كي تتجنّب مصير ساحرات مدينة سالم.[8]

وقفت جين في الخارج بجوار أختها وعقدت ذراعيها. سيوبّخهما والداهما إن وجداهما تقفان هكذا من دون إغلاق الباب نظرًا إلى تسرّب هواء التّكييف إلى الخارج فهما لا تعلمان مقدار الأموال التي يهدرانها. ولكن شكرًا للإله أنّهما في مهمّةٍ يوم العطلة.

قالت كاوري: "ينتابني شعور سيئ".

أمالت رأسها إلى الخلف، وبحثت عبثًا عن إشاراتٍ في السّماء الزّرقاء الصّافية الخالية من الغيوم، يطلق بعض الناس على ذلك اليوم "اليوم الجميل"، ولكن كاوري ترى العواصف المطريّة ذات شخصيّةٍ أقوى.

جحظت عينا جين وقالت: "ربّما يجب أن تلجئي إلى البلّورات".

كيف نسيت كاوري أمر البلّورات؟ ولكنّها ادّخرتها من أجل الحالات الخاصّة، ولا تدري إن كان التّأخير عشرين دقيقةً يرتقي إلى ذلك المستوى.

قالت كاوري: "دعينا نرسل له رسالة كي نتأكد".

عادتا إلى أمام غرفة كاوري حيث وضعت هاتفها المحمول، إذ فضّلت تجنّب استعماله داخل الغرفة لأنّها تجهل ردّ فعل الأرواح من العالم الآخر على هذه الأمور، مع أنها شرحت لهم عن الهواتف المحمولة والإنترنت كي يعلموا آخر التّطوّرات، ولكن من يدري.

لم يجب فيرجيل عن الرّسالة، فاتّصلت به، ولكنّها حوّلت إلى البريد الصّوتيّ. أنهت كاوري الاتّصال واستندت إلى الحائط في الرّواق، وعضّت شفتها السّفلى.

ازداد قلقها في السّاعة الحادية عشرة والنّصف، وأدركت بعد خمس دقائق أنّ مكروهًا ربما أصابه، وتأكّدت من ذلك بعد خمس دقائق أخرى، وحسمت أمرها في استشارة البلّورات.

لقد خبأتها تحت سريرها في كيسٍ صغيرٍ مخمليّ داخل صندوقٍ خلف كدسةٍ من كتب السّحر، وشاركت هذا الموقع السرّيّ مع جين فقط والتي كان ذلك أكبر أسرارها، ووجب عليها أن تقسم على ماضيها، ومستقبلها، وحاضرها الذي تعيشه، أنّها لن تكشف موقع البلّورات أبدًا طيلة حياتها.

ذات مرة طرحت جين سؤالًا على كاوري عن مصدر البلّورات، فوضعت كاوري إصبعها على شفتيها وقالت: "لا يُفترض بكاتمة أسراري أن تطرح أيّ سؤال". لقد حصلت كاوري على البلّورات من أحد معارض بيع الأشياء المستعملة، والذي أحبّت والدتها زيارته، وقد أسعدتها جدًّا رغبة كاوري في مرافقتها وقالت: "هذا رائعٌ حقًّا، إنّه وقت الأمّ وابنتها". ولكن في الحقيقة أرادت

كاوري أن تعرف ماهيّة الكنوز التي قد يتخلّى النّاس عنها مقابل خمسة سنتاتٍ، وعثرت هناك على البلّورات.

أخبرتها المرأة التي باعتها إياها أن تضعها في أوعية الأزهار من أجل الزّينة، ولكن تفكير كاوري تخطى هذا الأمر، فهي آمنت أنّ أسرار العالم دفنت نفسها في أشياء جميلة وغريبة مثل تلك البلّورات، وتستطيع قلّةٌ مختارةٌ من النّاس استخراجها، ولذلك اشترت البلّورات مقابل عشرة سنتات.

أقفلت كاوري باب غرفتها في الوقت الذي انسلّت فيه جين تحت السّرير كي تحضر الصّندوق، وحملته بحذرٍ شديدٍ وفتحته كاوري، وأخرجت منه الكيس، ثمّ البلّورات التي كانت مختلفة الألوان؛ حمراء، وزرقاء، ووورديّة، وأخرى شفّافة.

انحنت كلتاهما لإلقاء نظرة عن كثب.

سألت جين بهدوءٍ: "ماذا ترين؟".

تفحّصت كاوري البلّورات جيّدًا ولم تلمسها، ومنحت البلاستيكيّة الشّفافة منها اهتمامًا أكبر.

قالت: "لم ينسَ موعدنا، بل هو مُحتجزٌ في مكانٍ ما".

سألت جين: "ماذا تعني كلمة مُحتجز؟".

أجابت كاوري: "أقصد أنّه مسجون".

سعلت جين وقالت: "هل تقصدين أنّ أحدًا سجنه تحت تهديد السّلاح؟".

قالت كاوري: "لا، لا... لا يوجد سلاح. لقد... أعاقه شيءٌ ما... لقد منعه أمرٌ من القدوم". استقامت في جلستها وأضافت نبرةً من السّلطة إلى جملتها الأخيرة.

قالت جين: "ولكننا نعرف ذلك لأنّه ليس هنا".

تجاهلت كاوري ذلك، فقد كانت جين مساعدةً مفيدةً، ولكنّها لا تحتمل أحيانًا.

قالت كاوري: "تيقّنت الآن من وقوع مكروه".

24
فالنسيا

ستكون هذه زيارتي الأولى إلى منزل وسيطةٍ روحيّة، ولكنني توقّعت شيئًا مختلفًا، مثل لافتةٍ كبيرةٍ مضيئةٍ كُتب عليها: "قراءة الكفّ، أو اقرأوا طالعكم هنا". ولكن العنوان أوصلني إلى منزلٍ عاديّ.

لست متأكّدةً إن كانت هذه علامةً جيّدةً أم سيّئة، أو أنّ كاوري شخصٌ عاقلٌ أم مختلّ.

توجد طريقةٌ واحدةٌ كي أكتشف ذلك.

اتّجهت إلى جرس الباب ورننته.

أدركت أنّه يعمل إثر اهتزازه تحت إصبع يدي. سيفاجئك عدد الأشخاص الذين يملكون أجراسًا معطّلة. خفق قلبي سريعًا وأنا أحدّق إلى الباب، ولكنني لم أنتظر طويلًا قبل أن يُفتح وتظهر خلفه فتاةٌ صغيرةٌ بدا أنّها في الصّفّ الأوّل تقريبًا، وقد وضعت حبل قفزٍ زهريّ اللّون حول عنقها وتركته يتدلّى على كتفها. لقد كانت أصغر كثيرًا مما ظننت، ولكنها لم تكن قاتلةً متسلسلة على الأقلّ. لا عجب أنني عجزت عن إيجادها عبر الإنترنت، فهي على الأرجح أصغر من أن تستخدم الحاسوب.

سألتني: "ما هي كلمة السّر؟".

أجبتها: "يشرق كوكب الزّهرة من الغرب".

حدّقت الفتاة إلى سمّاعتي وسألتني: "ما هذه؟".

أجبتها: "إنّها سمّاعة من أجل المساعدة على السّمع".

وانتظرت ردّ فعلها.

يجفل النّاس أحيانًا عند معرفتهم أنني صماء، ولا يرغبون في التحدث إليّ، أو يجهلون إلى أين ينظرون، فتتناثر نظراتهم في الأجراء وكأنّهم يبحثون عن بوّابةٍ خفيّةٍ تأخذهم إلى مكانٍ آخر.

ولكن الفتاة قالت: "إنّ طريقة كلامك غريبة".

أجبتها: "أعلم ذلك، هذا لأنني صمّاء".

قالت جين: "أوه"، وفتحت الباب.

كان المنزل مرتّبًا ونظيفًا جدًّا، وفاحت منه رائحة البخّور، وتصاعدت سحابة الدّخان من غرفةٍ في نهاية الرّواق، فأرشدتني الفتاة الصّغيرة إلى هناك.

قلت في نفسي: "*أيّها القدّيس رين، أرجوك احمني من وجود قاتلةٍ مختلّةٍ في تلك الغرفة التي يملؤها الدّخان، آمين*".

تبيّن عدم صحّة مخاوفي، فلم يكن هناك قاتلة مختلّةً في الغرفة، بل وقفت فتاةٌ في عمري تقريبًا أمام خريطة نجومٍ كبيرةٍ واضعةً يديها على شفتيها، فأدركت أنّها كاوري مباشرةً. نظرت إليّ عندما دخلت، وبدت غير مركزة، إذ تجعّد حاجباها قليلًا، وهذا ما يحدث عندما تكون قلقًا. قلت سابقًا إنّ العينين تفضحان صفاتٍ كثيرةً عن صاحبها، ولكن الحاجبين يكشفان أكثر منها.

سألتني: "هل أنت ريني فقط؟".

ارتبكت في البداية، ولكن تذكّرت أنني أعطيتها اسمًا مزيّفًا من باب الحيطة.

أجبتها: "نعم".

مشت الفتاة الصّغيرة ناحية أختها ووقفتا أمامي.

قالت الصّغيرة: "إنّها تضع سمّاعة من أجل مساعدتها على السّمع وتتحدّث على نحوٍ غريب".

أخبرتهما عن التّعليمات الثّلاث وتوقّعت توتّرهما أو عدم ارتياحهما، ولكن لم يحدث أي من ذلك. بدا أنّ كاوري تفكّر في أمورٍ أخرى.

قالت: "أنا كاوري، وأعتذر لأنني مشتّتةٌ قليلًا، إذ تأخّر أحد زبائني عن موعده ساعتين، وأنا قلقةٌ بشأنه. أنت لم تريه أليس كذلك؟".

سألتها: "كيف يبدو؟".

نظرت كاوري إليّ وأجابتني ببطءٍ كما طلبت: "إنّه قصير، وهزيلٌ قليلًا، بشرته حنطية اللّون وشعره أسود. يبدو خائفًا طوال الوقت، ويحمل حقيبة ظهرٍ أرجوانيّة اللّون، ويبلغ عمره أحد عشر عامًا".

أضافت الفتاة الصّغيرة: "اسمه فيرجيل، وأنا أُدعى جين".

سألت: "صغير وخائفٌ وأسود الشّعر؟".

أومأت كاوري وجين.

أعلم أنني لم أرَ فتى بهذه المواصفات صباح اليوم، ولكنّه بدا مألوفًا.

أضافت جين: "ويحمل حقيبةً أرجوانيّة، ويبدو خائفًا طوال الوقت".

أشعر أنني أعرف هذا الشّخص، ولكن اسم فيرجيل لا يعني شيئًا بالنسبة إليّ، فأنا أنسى الأسماء سريعًا على عكس الأوجه، ولكنني واثقة من أنني لم أرَ أحدًا في طريقي إلى منزل كاوري.

قلت: "لم أره".

عبست كاوري وقالت: "أنا متأكّدةٌ أنّه سيأتي".

مضت لحظاتٍ قبل أن تتصنع ابتسامة وتقول لي: "دعينا نتحدّث عن أحلامك، هل هي جيّدةٌ أم سيّئة؟".

أجبتها: "ما كنت لآتي إلى هنا إذا كانت جيّدةً".

قالت كاوري: "إنّها وجهة نظرٍ ممتازة"، وأشارت إلى بساطٍ مدوّرٍ وطلبت منّي الجلوس عليه، ففعلت.

جلست على الطّرف المقابل إلى جوار جين وقالت: "دعونا نبدأ الآن".

عجزت عن تجاهل القلق الذي اعتراها وفشلت في إخفائه.

25
الفتاة التي تجهل مصيرها

غطّى فيرجيل أذنيه وضغط راحتيه بقوّةٍ عليهما حتّى آلمتاه، وانتقل نبض قلبه إلى رأسه. وظل يسمع الضجيج في الأرجاء، وازداد علوًّا بطريقةٍ ما. إذ فاق صوت رفرفة الأجنحة كلّ شيءٍ، بدءًا من خفقان قلبه إلى صوت تنفسه، ولكنّه لم يفتح عينيه، وعجز عن ذلك أيضًا، إذ شعر أنّ جفنيه ملتحمانٍ معًا لأنه أغمضهما بشدة.

آلمته عيناه ووجنتاه، وانكمش وجهه بشدّة.

لم يشأ أن ينظر، وعجز عن ذلك.

خفقت الأجنحة مجدّدًا، وشعر أنّها اقتربت منه، وأحس بوجود شيءٍ على خدّه، تساءل إن كان ريشةً أم...، فأجفل كما يحدث عندما يطرح عليه أحد المعلمين سؤالًا من دون أن يرفع يده قائلًا: "هل تستطيع الإجابة يا فيرجيل؟"، وينظر إليه مباشرةً، فيهزّ رأسه نافيًا.

مجدّدًا: "ما هو الحلّ؟ هل يعرف أحدكم الإجابة؟ ماذا عنك يا فيرجيل؟".

طلبت الآنسة موراي منه الإجابة خلال إحدى حصصها، فقال ما يفكر فيه بصوتٍ منخفض: "ولكنني لم أرفع يدي". سمعته الآنسة موراي بطريقةٍ ما وقالت له: "ستواجهك بعض العقبات في حياتك من دون أن تطلبها".

ازداد حجم الأجنحة أكثر، ولامست أطرافها حوافّ البئر، وشغلت كلّ المساحة سوى التي يجلس فيرجيل وجوليفير فيها.

إنّه باه.

تساءل فيرجيل متى سيحسّ بمخالب باه تنغرس في جسده.

قال صوتٌ: "يكمن الحلّ في أن تفتح عينيك". لم يكن ذلك صوت فيرجيل، ولكنّه صدر من داخل البئر عبر يديه وقلبه وأنفاسه المتسارعة. بدا وكأنّ شخصًا آخر في داخله، أو أنّه صوت أحد الأرواح، وقد كان صوت أنثى لم يسبق له أن سمعه.

فتح فيرجيل فمه الجافّ كالعشب اليابس كي يسأل: "من قال ذلك؟"، وبقي غير واثقٍ أنّه قال ذلك حتّى جاءه الرّد منها: "هذه أنا".

ملأ الصّوت البئر مثل البخار المنبعث من كوب الشّوكولا السّاخنة.

تراجع فيرجيل والتصق بالحائط قدر الإمكان، وقال هذه المرّة بصوتٍ عالٍ: "لا أريد أن أفتح عينيّ".

قالت الفتاة: "يزداد حجم باه مع ازدياد خوفك، فضلًا عن أنّه ليس سيّئًا كما تتصوّر. وهذا ينطبق على كل الأمور".

بدت هادئةً وأوشك فيرجيل أن يصدّقها. وجد أنّها تشبه لولا رغم صغر سنّها. وتساءل من أين أتت؟ راوده الشّكّ حيال أمورٍ كثيرةٍ، ولكنه ما عاد يراوده بعد الآن، فهو واثق أنّ البئر كانت خالية عندما نزل إليها.

قال: "أنا لا أصدّق وجود الأشباح".

أجابت الفتاة: "وأنا كذلك".

أدرك حينها تباطؤ تنفّسه وغياب صوت باه تمامًا، ومع ذلك رفض أن يفتح عينيه، فماذا سيحصل إن فتحهما ووجد باه أمامه فاتحًا منقاره العملاق؟

قالت الفتاة: "لا يوجد شيءٌ كهذا، ثق بي".

كيف قرأت أفكاره؟

أجابت: "أنا أسمع عن طريق النّظر".

أرخى فيرجيل وجهه، وشعر بالعرق قد بلل راحتيه وأذنيه ولم يجرؤ على النظر مباشرة ولكنه اكتفى بفتح عينيه ببطء.

لم يرَ سوى الظلام، لم يرَ منقارًا مدبّبًا، أو ريشًا، أو مخالب، أو باه.

كانت البئر على حالها.

تباطأت ضربات قلبه نسبيًّا، ومع ذلك ظلت متسارعة قليلًا، ولكن ليس إلى حدّ خروج قلبه من جسده.

قالت الفتاة فخورةً: "هل رأيت؟".

أنزل فيرجيل يديه إلى جانبيه ببطءٍ، ونظر حوله في الظّلام، وسأل هامسًا: "أين أنتِ؟".

أجابت الفتاة: "أنا حولك في كلّ مكان، ألا تدرك ذلك؟".

تبيّن فيرجيل ذلك فعلًا، إذ صدر الصّوت من كل الاتّجاهات، وكأنّ البئر تتحدّث. قال في سرّه: ولكن الآبار تعجز عن الكلام.

ووضع راحة يده على أحد الحجارة ولم يُحرك أيّ قسمٍ آخر من جسده.

بدا له وكأنّ الحياة قد دبّت في البئر.

قالت الفتاة: "أعلم أنّك خائفٌ يا بایاني، ولكن اهدأ".

فيرجيل: "كيف تستطيعين الرّؤية؟".

أجابت الفتاة: "أنا أرى عن طريق الإصغاء".

قال فيرجيل: "ولكنني لست بایاني".

قالت الفتاة: "أنت بایاني بالنسبة إليّ".

سأل فيرجيل: "من أنتِ؟".

أجابت: "روبي سان سالفادور".

بدا الاسم مألوفًا جدًّا.

تابعت الفتاة: "هل تتذكّرني؟ أنا الفتاة التي تجهل مصيرها".

لقد تذكّرها، إنّها من قصّة لولا.

سألها فيرجيل بصوتٍ واهن: "ماذا تفعلين هنا؟".

عندها حتّى باه لم يعد موجودًا.

قالت روبي: "أحقّق مصيري".

سألها فيرجيل: "هل مصيرك العيش في البئر؟".

أجابته: "لا، بل مساعدة أولئك الواقعين في ورطة".

احتضن فيرجيل حقيبته وسألها: "هل تستطيعين إزالة الغطاء ومساعدتي في الوصول إلى السّلّم؟".

قالت: "بالطبع لا أستطيع، إذ تحتاج إلى يدين من أجل تحريك الأشياء".

أومأ فيرجيل، وخيّم الصّمت على المكان، قبل أن يسقسق جوليفير.

همس فيرجيل: "أعتقد أنّنا سنعلق هنا إلى الأبد".

أجابت روبي: "يوجد بصيص أملٍ في كلّ شيءٍ يا بایاني".

26
تفسير حلمٍ

صدقت كاوري عندما أخبرتني أنّها درست الأحلام عبر الإنترنت، وقد آمنت في امتلاك اللّاوعي قوّةً كبيرةً جدًّا. في بعض الأحيان، يحتاج الدّماغ إلى الأحلام ليتخلّص من مخاوفه أو مباعث قلقه. كان الحلّ بسيطًا لدى كاوري؛ تغلّب على مخاوفك، تتخلّص من الكوابيس.

أدركت كاوري المشكلة بعد سماع تفاصيل كابوس ريني فقط، فقد كانت واضحة وضوح الشّمس، وانتظرت حتّى التفتت ريني إليها وقالت: "أنت تخافين الفتيات اللواتي يرتدين فساتين زرقاء".

أمالت ريني رأسها على نحوٍ غريبٍ وهزّته. جلست الفتيات الثلاث على بساط دائرة الأبراج كالمعتاد؛ جلست كاوري وجيني في جهة وجلست ريني في الجهة المقابلة.

قالت جين: "لا أظن ذلك صحيحًا".

التفتت كاوري إلى أختها وقالت: "اعذريني، ولكنّك لست الخبيرة هنا. وفضلًا عن ذلك، كيف تعلمين أن تفسيري خاطئ؟".

هزّت جين كتفيها وقالت: "لقد بدا... لا أدري... بسيطًا جدًّا".

قالت كاوري: "في بعض الأحيان تكون الإجابات الأبسط هي الإجابات الصّحيحة... ومع ذلك فإنني سأركّز أكثر"، وأكّدت على كلمة احتياط، وقد قرّرت ذلك بعد أن التفتت إلى ريني ووجدت علامات الشّكّ بادية على محيّاها.

أغمضت عينيها وتصوّرت ريني واقفةً في الحقل وحدّها.

قالت كاوري: "أنت خائفة من أن تكوني وحيدةً".

فتحت عينيها، ووجدت أنّ وجه ريني قد اكفهرّ وكأنّها تناولت شيئًا مرًّا.

قالت ريني، وكأنّها تودّ بصق هذه الكلمة المرّة من فمها: "أنا لست خائفةً، بل أحبّ أن أكون وحيدةً، فالحياة أكثر سهولةً هكذا".

تبادلت كاوري وجين النظرات، فلم تتعود كاوري أن يعارضها أحد زبائنها، أو زبونها الوحيد فيرجيل.

قالت كاوري ببطء وتوقّفت بين الفينة والأخرى كي تفهم ريني المعلومات المهمّة التي تدلي بها: "قد أكون مخطئة، ولكن أرى أنّك تشعرين بالوحدة، أو ربّما تخافين من هذا الشّعور. ولذلك عندما تخافين في الحلم تلتفتين حولك، وتجدين الجميع قد اختفوا. يشبه الأمر عيشك في فقاعة، إذ ينكر الجميع وجودك.

وستجدين نفسك يومًا ما غير مرئيّةٍ، وهذا الأمر لا يخيفك وحدك بل يخيف الجميع".

أومأت جين بقوّة.

ارتسمت على وجه ريني ملامح تراوحت بين العبوس والحزن، ثمّ عقدت ذراعيها، وأصرّت على موقفها قائلةً: "أنا أحبّ أن أكون وحيدةً، إذ يجنّبني ذلك كثيرًا من المشاكل".

قالت كاوري: "لعلّ قلقي حيال فيرجيل قد شتّت أفكاري، فأنا لست في قمّة تركيزي".

أومأت جين مجدّدًا وقالت: "هذا صحيح، لقد حدّقت أختي إلى هذه الخطوط فترةً طويلةً قبل وصولك"، وأشارت إلى مخطّط النّجوم.

حدّقت ريني إلى الخطوط، ثمّ إلى الأختين، وأرادت كاوري أن تخبرها عن معنى الخطوط وأنّها أكثر من مجرّد خطوط، ولكنها أدركت أنّ من الأفضل "تركها على حالها" كما تعود والدها أن يقول.

أنزلت ريني ذراعيها وقالت: "حسنًا، أستطيع المساعدة في البحث عنه إن أردتما ذلك".

انتاب كاوري الفضول حيال زبونتها الجديدة وحدّقت إليها؛ لقد كانت عنيدةً، ومتقلبة الطبع. وجدت كاوري ذلك مشوّقًا، وتساءلت عن برجها، هل هو الأسد أم الحمل؟

سألت كاوري: "ما هو برجك؟".

ولكن رين انشغلت في الوقوف، ولم تتنبه إلى أنّ كاوري كانت تتحدّث إليها.

27
فالنسيا

لعلّ بقاء المرء وحيدًا ليس أفضل شيءٍ في العالم، فكم سيكون لطيفًا إذا أُتيحت لي فرصة العودة إلى تلك الأيّام التي كنت فيها جزءًا من مجموعة. أقصد أنّ تناول الغداء مع بعض الأشخاص أفضل من الجلوس في أيّ مكان، فضلًا عن إمكانيّة مشاركتهم خطط الصّيف، وإطعام ساكرد، ومراقبة السّناجب والطّيور، ولكنني لست خائفة من الوحدة أو غيرها.

اقترحت كاوري أن نتناول الطّعام قبل الخروج في مهمّة البحث، فذهبت الفتيات الثلاث إلى المطبخ الواسع النّظيف الذي فاحت منه رائحة البطاطا، واحتوى على طاولةٍ مرتّبةٍ تحمل عددًا من الشّمعات النّحيلة الطّويلة. لم أتخيّل أنني جائعةٌ إلى ذلك الحد، إذ تجاوزت السّاعة موعد الغداء.

أخرجت كاوري أرغفة الخبز من الثّلاجة مع بعض قطع اللّحم من أجل إعداد الشّطائر. تناولت شطيرة لحم مع بعض الخردل، وصنعت جين شطيرة بالوغنا مع كثيرٍ من المايونيز، وتناولت كاوري اللحم، وبعض الخسّ، والطّماطم، وقطعًا من الخبز.

قالت كاوري وفمها نصف ممتلئٍ خلال تناولهنّ الشّطائر أنّهنّ يحتجن إلى البدء من الأماكن المعروفة أوّلًا، ويتضمّن ذلك منزله.

قلت: "يبدو هذا سهلًا". لقد وضعت شريحتين رقيقتين من اللحم في شطيرتي متّبعةً قواعد الأدب، ولكنني أتمنّى الآن لو أنني وضعت أكثر، فأنا أشعر وكأنني أتناول الخردل فقط. ولكن لا فرق بين الشّطائر عندما يكون الشخص جائعًا وتكون معدته خاوية.

تابعت كاوري: "ليس الأمر سهلًا كما تعتقدين... يجب أن نرسلك أنت كي تطرقي الباب وتسألي عنه".

ابتلعت اللّقمة وقلت: "لماذا أنا، فأنا لا أعرفه".

ارتشفت رشفةً من شرابها، ومسحت فمها بواسطة كمّ سترتها، وتحدّثت في الوقت ذاته، ولذلك عجزت عن سماع القسم الأوّل من العبارة، بل نهايتها فقط: "... قد يقع في مشكلة".

فهمت الأمر، وأدركت أنّ سؤال كاوري عنه مع اعتقاد والديه أنّه معها سيوقعه في مأزق، وخاصّةً إن كان يفعل شيئًا لا يجب أن يفعله.

سألتها: "أين يسكن؟".

قالت كاوري من دون إعطاء عنوان محدد: "يسكن في منزلٍ جميلٍ في الجهة الأخرى من الغابة، ويرتاد مدرسة بويد المتوسّطة".

قلت: "وأنا أرتادها أيضًا، وأصبحت في الصّف السّابع".

صاحت جين وقد لوّث قليلٌ من المايونيز شفتها السّفلى: "وكذلك فيرجيل".

سألتني كاوري: "هل أنت متأكّدةٌ أنّك لا تعرفينه؟".

قلت مشيرةً إلى سمّاعتي: "لا أدري، إذ لا أتذكّر الأسماء جيّدًا، بل الوجوه فقط".

عجزت عن فهم ما قالته جين فقد كان فمها مليئًا بالطعام، ولكنني أظن أنها كانت تصف لي فيرجيل.

بنّي.

نحيل.

حزين.

تساءلت كيف ستصف جين وجهي إلى الآخرين.

لعلّي حزينةٌ، ولكنني لا أريد أن ينسب أحدٌ ذلك إليّ، ليس الآن على الأقل. إذ لا أعدو حاليًّا كوني فتاةً تتناول شطيرتها في انتظار الأحداث القادمة.

28
بالي

حاول فيرجيل مجدّدًا إقحام مقدّم حذائه بين حجرين من حجارة البئر الكبيرة التي كانت مكدّسةً بحيث لا يوجد متّسعٌ كي يرتكز عليها ويصل إلى السّلّم. قفز متخيّلًا أنّه اكتسب بضعة سنتمتراتٍ من الطّول، ولكن أصابعه لم تصل إلى الدّرجة السّفلى، فضلًا عن جهله مكان السّلّم أساسًا، إذ خيّم الظّلام على المكان.

جلس فيرجيل منهكًا وأعطى جوليفير بعض الهندباء وقال: "أتساءل كم سيمضي من الوقت قبل أن يخرج أحدهم كي يبحث عنّي"، وفكّر في ولد الصّخرة.

قالت روبي: "كيف تدري أنّ أحدًا لم يبدأ البحث حتّى الآن؟".

قال: "أتمنّى قدومهم قبل عودة باه".

قالت روبي: "لماذا لا تستريح وتدع القلق بشأن باه؟ ما يهمّنا أنّه ليس هنا الآن".

قال فيرجيل: "لا أستطيع الاسترخاء في مكانٍ هادئٍ إلى هذا الحدّ".

أجابت روبي: "إنّ الصّمت جيّدٌ في بعض الأحيان، فهو يزيد حاسّة السّمع لديك".

سأل فيرجيل: "وماذا يمكن أن أسمع هنا؟".

قالت روبي: "أفكارك يا بایاني".

قال فيرجيل: "هذا هو بيت القصيد، فأنا لا أريد التّفكير في أيّ شيءٍ لأنّ جلّ ما سأفكر فيه هو كيفيّة وصولي إلى هذه النّهاية المسدودة".

تنهّدت روبي وقالت: "وهنا تكمن المشكلة أيضًا، إذ يرفض النّاس الاستماع إلى أفكارهم، فيملأ ضجيجهم العالم".

قال فيرجيل: "لا مشكلة لديّ في الجلوس هادئًا، ولكن في مكانٍ آخر".

سألت روبي: "أين تقصد؟".

احتضن فيرجيل حقيبته بقوّةٍ أكبر وقال: "في بالي".

سألت روبي: "ما هي بالي؟".

أجاب فيرجيل: "لا أدري، ولكن كل الناس يرغبون في زيارتها". وقد تحدّث والداه عنها دومًا، وامتلكا كتيّباتٍ عنها.

سألت روبي: "لماذا؟ كيف تبدو؟".

قال فيرجيل: "أعتقد أنّها مكانٌ سحريّ، وإلّا ما سرّ رغبة النّاس في زيارتها؟".

تخيّل فيرجيل سماءً ذات لونٍ أرجوانيّ فاتحٍ وغيومًا زرقاء داكنة، والتي تتصدّع قبل هطول الأمطار كي تهطل منها قطراتٌ كثيفةٌ من غاز الضّحك على النّاس جميعهم، فيعجزون عن التّوقّف عن الضّحك. يستخدم السّكان كؤوسًا ذهبيّةً من أجل الشّرب، ويضحكون طوال الوقت، ولا يكترثون إذا كان الآخرون داخل قواقعهم أم لا. وتتوسّط الشّمس كبد السماء طوال الوقت فلا يجد الظّلام مكانًا له. يعود كلّ ما يلمسه الضّوء إلى آلهة الشّمس الذين منعوا الشّر من تجاوز حدود بالي.

يحرس الجنود كل مداخل المدينة لكي يتصدوا إلى أيّ هجومٍ مفاجئ رغم أنّ أحدًا لا يجرؤ على الاقتراب. شكّل ملوك الظّلام المئة ألدّ أعداء آلهة الشّمس، ولكن جرى نفيهم إلى أعماق الأرض، ومضى على سباتهم هناك خمسة آلاف عامٍ. يعلم الجميع أنّهم عجزوا عن النّوم إلى الأبد، ولكن أحدًا لا يعرف متى سيستيقظون، ولذلك عيّنت آلهة الشّمس محاربًا مميّزًا من أجل هزيمتهم، والذي تدرّب لسنوات ليفقأ عيون الملوك المئتين جميعهم.

قالت روبي: "أنت هو يا باياني، أنت محارب بلهة الشّمس".

أسند فيرجيل رأسه إلى الحجر، وتنفّس وسط العفن الذي لم ينتبه إليه مسبقًا كما الآن وقال: "أنا لست محاربًا، قد يكون أخوتي كذلك، ولكن ليس أنا".

نفخت روبي مستهزئةً.

قال فيرجيل: "ماذا تقصدين؟ إنّهما قويّان حقًّا".

أجابته: "وما علاقة القوة بما نتحدث عنه؟".

قال فيرجيل: "ما أحاول قوله أنّ بنيتهما قويّةٌ على عكس بنيتي".

أجابت روبي: "القوة لا ترتبط بالوزن... أعلم أنّهما يمارسان الرّياضة ويحملان الأثقال، ولكن القوة لا تقاس بهذه المقاييس. تتجسّد القوّة في أمورٍ كثيرةٍ، وأحدها أن تكون محاربًا، ولا علاقة للحجم والوزن في كون الشخص محاربًا، إذ عرف الزّمان، وعلى مرّ العصور، محاربين صغارًا".

تذكّر فيرجيل قصّة باوليتو وتنّين الأدغال، والتي كانت واحدةً من قصص لولا المفضّلة قبل أن تنحاز إلى قصص التّماسيح والصّخور التي تتناول الأطفال، وقد كانت نهاية تلك القصّة سعيدةً.

قالت روبي: "أخبرني عنه".

سأل: "كيف تقرأين أفكاري؟".

قالت: "لقد كنت أُصغي".

قال فيرجيل: "ولكنني لم أقلْ شيئًا".

قالت روبي: "وما المهمّ في ذلك؟ قصّها عليّ فأنا أحبّ القصص".

لا يعتبر فيرجيل نفسه قاصًّا جيّدًا، ولكنه في البداية رتّب أفكاره عن باوليتو واستهلّ الكلام موظّفًا أكثر العبارات التي يجيدها.

قال: "لم يتجاوز طول باوليتو سبعة سنتمترات ولكنّه أراد أن يصبح ملكًا، ليس بسبب الطّمع أو غيره، بل لأن قريته كانت ضحية الخلاف والشجار على أمور تافهة، وأراد إنقاذها".

تذكّر فيرجيل توظيف لولا عبارة "أتفه الأمور" لأنّه طلب حينها أن تشرحها من أجله.

قالت لولا: "تخيّل أن منزلك يحترق، ولكنّك ترفض المغادرة قبل ترتيب الوسائد".

تابع فيرجيل: "سخر الجميع منه، وقالوا إن رجلًا طوله بضعة سنتمتراتٍ سيعجز عن حكم القرية، وعادوا إلى خلافاتهم وشجاراتهم مجدّدًا".

سقسق جوليفير، فأعطاه فيرجيل ورقة هندباءٍ، وتجنّب إطعامه أكثر من واحدةٍ كلّ مرّة، فهو يحتاج إلى الاقتصاد في طعامه. تساءل فيرجيل هل يجب عليه هو الآخر أن يتناول الهندباء، ولكن ماذا لو تناولها وتسمّم منها؟ وماذا عن الماء، وكيف سيعيش من دونه؟

وضع فيرجيل يده على حلقه، وأحسّ فجأةً بالعطش الشّديد.

حثّته روبي قائلةً: "ماذا حدث يا بایاني؟ آمل أن يكون هناك تتمّة للقصّة".

أنزل فيرجيل يديه، وبدأ يحكّ خلف أذني جوليفير وقال: "أنا آسف، أنا لا أجيد رواية القصص، فأنا لست بارعًا في ذلك مثل لولا".

شعر فيرجيل بالدّوار والغثيان عندما فكّر في لولا، وأحسّ أن الدّموع على وشك أن تنهمر من عينيه. تساءل عن حالها في تلك اللّحظة، وماذا تفعل؟ هل ترتّب الملابس بعد غسيلها؟ أم تكوي القمصان؟ أم تشتكي من شراء والدته كثيرًا من الموز؟ أيًّا يكن ما تفعله، لعلّها لا تفكّر في أنّ واحدةً من قصصها أصبحت حقيقةً، وأن البئر ابتلعت حفيدها.

قالت روبي: "حاول فقط".

ازدرد فيرجيل لعابه وقال: "ترك باوليتو القرويّين يتنازعون وأخذ يجمع رمالًا عن الشّاطئ، ولم ينتبه أحدٌ إليه بسبب انشغال الجميع في الخلافات. وصلت السّفن الكبيرة من أجل احتلال القرية، ولكنّها فشلت لأنّ باوليتو بنى حصنًا عن طريق نقل حفنةٍ من الرّمال في كلّ مرّةٍ".

سألت روبي: "وماذا بعد؟".

تابع فيرجيل: "وتوّجوه ملكًا على الجزيرة، وأصبح أفضل الملوك الذين جلسوا على عرشها... أنا لست محاربًا مثل باوليتو، فهو شجاعٌ ولن يخاف من الثّور أو يختبئ منه".

وانهمرت الدّموع التي كبتها. إنّه يفتقد لولا.

قالت روبي: "لا تعني الشّجاعة عدم الخوف".

قال فيرجيل: "هذا صحيح، ولكنني لا أفعل شيئًا ولا أواجه شيئًا".

قالت روبي: "تختلف طرق القتال كثيرًا. ربّما لم تكن مستعدًّا، وستغدو كذلك في المرّة التالية".

قال فيرجيل: "لا أريد مرّةً تالية".

روبي: "توجد دائمًا مرّةٌ تالية يا عزيزي بایاني".

عندها تذكّر فيرجيل أنّ كلمةً بایاني تعني البطل. جلس ساكنًا في الظّلام الدّامس، وتبادر إلى ذهنه ذلك اليوم الذي أخبره فيه والداه ومدرّس الرّياضيّات أنّه يحتاج إلى ارتياد غرفة المصادر أيام الخميس من أجل تعلّم جدول الضّرب.

تخيّل فيرجيل ذلك اليوم الذي جلس فيه على كرسيّ غير مريحٍ مقابل السّيد لينتون وجلس والداه إلى جانبيه. ركّز على عبارة "جداول الضّرب" بدلًا من تفاصيل ما جعل حالته "خاصّة"، وتخيّل سلاسل لامتناهيةً من الجداول المكدّسة بعضها فوق بعض وأنّه يقف قرب أوّلها وينظر إلى الأعلى عاجزًا عن رؤية آخرها، لأنّه حالةٌ خاصّة.

شرح السّيد لينتون أمام فيرجيل ووالديه أنّ ذهاب فيرجيل إلى غرفة المصادر يعني حصوله على اهتمامٍ فرديّ، ولا يعني وجود مشكلة فيه أبدًا، وقد أضاف السّيد لينتون العبارة الأخيرة سريعًا.

وقتها فكّر فيرجيل أنّ ذلك ليس صحيحًا، إذ يعجز عن حفظ جداول الضّرب، وتوجد طريقةٌ صحيحةٌ وأخرى خاطئة من أجل ذلك، ويعني اتّباعه الأخيرة وجود خللٍ ما.

لكنه التزم الصّمت، إذ لا مانع لديه من الذّهاب إلى غرفة المصادر، فهو لن يتشاجر مع السّيد لينتون، فلا بأس إن احتاج مزيدًا من الرّعاية الخاصّة، وكان متأكّدًا أن أحدًا لن يلاحظ غيابه.

في وقت لاحق، أصبحت أيام الخميس أفضل أيّام العام الدّراسيّ؛ فهناك رأى فالنسيا للمرة الأولى.

يومها كانت ترتدي سترةً أرجوانيّة اللّون، وسرّحت شعرها على شكل ضفيرتين رائعتين، وقد لوّث بعض التّراب طرف بنطالها الجينز، وحملت يوميّاتها تحت ذراعها وقد رغب فيرجيل في قراءتها. في بعض الأحيان تساءل ماذا سيفعل إن نسيته صدفةً على المقعد؛ هل سيختلس النّظر إليه أم يكون شخصًا أمينًا ويحرسه من أجلها؟ واختار الخيار الثّاني. ولكنّه أراد بقوّةٍ أن يعرف الكتابات والرّسوم الموجودة فيه، ورغب في الحصول على دفتر يوميّات خاص به، إذ ربّما توجد أمورٌ يريد قولها ولكن لا يدري ما هي بعد.

قال وسط الظّلام: "أتمنّى لو أحمل دفتر يوميّاتٍ هنا، كي أكتب عليه رسالة وداعٍ من أجل عائلتي، ولكنهم سيعجزون عن إيجادها".

قالت روبي: "لا تحتاج أن تكتب رسالةً على ورق، بل اكتبها في رأسك".

قال فيرجيل: "ماذا تقصدين؟".

قالت: "أغمض عينيك وأغلق فمك وأرسل أفكارك إلى الكون".

سأل فيرجيل: "وكيف سيصل ذلك إلى عائلتي؟".

قالت: "سيشعرون بها وإن كانوا يجهلون أيّ شيء، ألا ينتابك أحيانًا شعورٌ غريبٌ حيال شيءٍ ما؟ يمثّل هذا الإحساس رسالة العالم إليك".

أجل، إذ أحسّ وجود الثّور بضع مرّاتٍ في المدرسة رغم عجزه عن رؤيته، وكذلك كان الأمر مع فالنسيا.

فكّر في الطريقة التي عرفت فيها لولا دائمًا ما يشعر به، لعلّها أحسّت بطريقةٍ ما أنّ مكروهًا قد أصابه، وقال: "أعتقد أنّ لولا تتلقّى رسائل كثيرة".

أجابت روبي: "وجميعنا كذلك، ولكن بعضنا يستطيعون فتحها أفضل من الآخرين".

29
فالنسيا

كنت منذ ثمانٍ وأربعين ساعةً مجرّد فتاةٍ عاديّةٍ تراقب الحياة البرّيّة، وها أنا أمشي الآن برفقة وسيطةٍ روحيّةٍ صوب منزل صبيّ لا أعرفه كي نعرف إن كان مفقودًا أم لا. إنّها سخرية القدر، أليس كذلك؟

يعيش فيرجيل في حيّ جميلٍ كما قالت كاوري، حيث تساوي المنازل هناك ضعف حجم نظيرها في حيي. أخبرت كاوري ذلك فقالت: "أجل، أجل، إنّ والده طبيب"، وكأنّ ذلك أقلّ الأمور أهمّيةً حينها. ولعلّها محقّة، ولكنني أردت إبداء رأيي لا أكثر.

لقد أرهبني شيءٌ ما في تلك المنازل ولم أدرِ ما هو، ولكن التّوتّر نال منّي.

لست فتاةً خجولةً، ولكنني بالمقابل لم أتعود طرق باب منزل أشخاصٍ لا أعرفهم، ولكن كاوري أخبرتني مجدّدًا أنّ فيرجيل سيقع في ورطةٍ كبيرةٍ إن عرف والداه أو لولا أنّه يفعل شيئًا لا يجدر به أن يفعله. وأضافت أنّه ليس من أولئك الفتية الأشقياء وعلى الأرجح أنّه لا يفعل شيئًا، وليس من عادته التّأخّر عن المواعيد أيضًا. ولكن كلّ شخصٍ يُشكل لغزًا بحدّ ذاته، إذ من يدري ما قد حصل.

لذا ها أنا على بعد منزل واحدٍ من منزل فيرجيل. أوقفتني كاوري ورمقتني جين بنظرةٍ جادّةٍ جدًّا وكأنني جاسوسةٌ في مهمّةٍ سرّيةٍ.

قالت كاوري: "إليك الخطّة، اطرقي الباب واسألي إن كان فيرجيل في المنزل".

قلت: "شكرًا على شرح ذلك من أجلي".

وضعت جين يدها على فمها وضحكت، ورمقتها كاوري بنظرة غاضبة وتابعت: "أنا جادّةٌ في ذلك. إنّ لولا دقيقة الملاحظة، وأعتقد أنّها واحدة منّا، نحن الوسطاء الّروحيّين. إن لم يكن في المنزل، اشكريهم وقولي إنّك ستعودين في وقت لاحق وبذلك نعرف ما يجري".

سألتها: "وإن كان في المنزل؟". لقد أحرجني هذا الموقف حتّى قبل حدوثه، إذ سيربكني الأمر كثيرًا لو كان منزل فتاةٍ ناهيك عن كونه فتىً في حيّ فاخرٍ. لقد تقلّبت معدتي وشعرت بالغثيان. أضف إلى ذلك أنني لا أتحدث في العادة إلى الفتيان، فضلا عن زيارة منازلهم.

قالت كاوري وهي تحدّق إلى المنزل خلفي: "أخبريه أن يلتقينا في الخارج، سننتظره هنا".

لمست جين ذراعي، وابتسمت إليّ قائلة: "لا تقلقي على فيرجيل، إذ لن يضطرب أو يفعل شيئًا من هذا القبيل. إنّه لطيفٌ حقًّا كما أخبرتك، ويمتلك جرذًا كحيوانٍ أليف".

وشدّت نهايتي حبل القفز وهزّته فتدلّى فوق الأرضيّة السّاخنة إلى مقدّم حذائها الرّياضي.

قلت: "حقًّا؟". يا له من تطوّرٍ مثير، إذ يكره معظم النّاس الجرذان، ولكن بعضهم يحبها، لأنّها ذكيّةٌ وفضوليّة، ومستعدّةٌ دومًا للمرح والمغامرة، وسيكون لطيفًا اقتناء جرذ، ولكن لن أطلب ذلك من والديّ أبدًا، إذ يكفي أن أتخيّل النّظرة التي ستعتلي وجهيهما.

لمست كاوري كتفي كي ألتفت إليها (لقد أجادت التّعليمات الثّلاث حقًّا)، ودفعت جين قليلًا في الوقت نفسه وقالت: "إنّه ليس جرذًا بل خنزير غيني".

قلت: "يا إلهي!، أنا أحبّ الخنازير الغينيّة، لقد امتلكت واحدًا في صغري، ولكنّه توفّي، كان اسمها ليليبوت".

أوشكت نسيان أمر ليليبوت تمامًا. كان شعرها طويلًا جدًّا متموج الألوان بين البنّي الفاتح والبنّي الدّاكن، والأسود. لا أتذكّر من أين أحضرناها لأنني كنت صغيرةً جدًّا، إلا أنني أذكر إطعامها التّبن ومراقبتها تشرب من عبوة المياه في قفصها. توفّيت عندما كنت في الحضانة، ودفنها والداي قبل عودتي إلى المنزل، يومها بكيت كثيرًا لأنه لم تتح لي الفرصة لوداعها.

قالت جين بينما استعدّت من أجل قفز الحبل: "ليليبوت! إنّه اسمٌ لطيف".

يعود هذا الاسم إلى جزيرةٍ في كتابٍ يدعى *رحلات جوليفير*، الذي يروي أحداث الرّحلات التي يخرج فيها المستكشف ليمويل جوليفير إلى تلك الأراضي بعد تحطّم سفينته، وكانت جزيرة ليليبوت أوّلها، والتي سكنها أناسٌ لا تتجاوز أطوالهم خمسة عشر سنتيمترًا. لقد أحببت القصّة وفضّلت اسم ليليبوت أكثر من غيره.

وشعرت أنّه يلائم تمامًا المكان الذي يعيش فيه النّاس الصّغار.

أوشكت أن أخبر جين ذلك وأسألها عن اسم خنزير فيرجيل الغينيّ، ولكن كاوري بدأت تلوّح ناحية المنزل خلفي قائلةً: "أسرعي، نحتاج إلى معرفة ما يجري".

قلت: "حسنًا، سأذهب". مشيت ناحية المنزل وأنا أحاول البقاء على طبيعتي كي أخفي توتّري الشّديد.

خلا المدخل من أيّ سيّارةٍ، لعلّ لا أحد في المنزل.

عبرت المدخل المرصوف بالحجارة. ليس المنزل قصرًا أو شيئًا يشبهه، ولكنّه كبيرٌ، ويتألف من طابقين، بالإضافة إلى مرأب يسع ثلاث سيّاراتٍ. كان للباب الأمامي مطرقةٌ على شكل حدوة حصانٍ أيضًا، فرفعتها وطرقت ثلاث مرّاتٍ وانتظرت خمس ثوانٍ وأنا أعبث بحزام حقيبتي، ثمّ قرّرت أنّ المنزل خالٍ من سكّانه. أراحني ذلك من ناحيةٍ، ولكن سيكون من الأفضل وجود أحدهم، لأن هذا يعني أنّ صديق كاوري سليمٌ معافى.

فتح أحدهم الباب، وأدركت مباشرةً أنّها لولا، وقد أخبرتني كاوري أنّ كلمة لولا تعني "الجدّة"، إذ بدا عمرها مئة عامٍ تقريبًا. كانت صغيرة البنية، وأقصر منّي، ونحيلةً حقًّا. لم أر ابتسامتها، ولكنها لا تبدو شريرةً ولا ودودةً أيضًا. حدّقت إلى سماعتي قليلًا.

قلت: "هل هذا منزل فيرجيل؟".

رفعت ذقنها وكأنّها لم تسمعني جيّدًا وقالت وهي تمسك مقبض الباب: "فيرجيل؟".

خشيت أن أكون قد أخطأت في لفظ الاسم فانتابني القلق لبرهة، ربّما لا يدعى الفتى فيرجيل، ولكنّني أسأت فهم كاوري وجين.

أجبت، وقد بدت إجابتي تساؤلًا: "أجل؟".

قالت لولا: "فيرجيل ليس هنا، لقد خرج منذ الصباح. ما هو اسمك؟".

ارتفعت حرارة صدري ورقبتي.

أجبت بغباءٍ: "اسمي؟".

قالت لولا: "أجل، كي أخبره أنّك جئت لرؤيتي".

سعلت وقلت: "أوه، أنا أُدعى... فالنسيا".

قالت لولا: "فالنسيا... كنت أنتظر قدومك". في البدء لم أعرف إن كانت تسخر منّي أو تتصرّف بسوءٍ، ولكن رقّت النّظرات في عينيها وابتسمت.

سألتها: "حقًّا؟".

قالت: "لقد كنت أنتظر حدوث شيءٍ ما في الحقيقة".

أربكتني إجابتها فالتزمت الصّمت، إذ توقّعت أن تقول شيئًا عاديًّا مثل: "سأخبره أنّكِ جئتِ لرؤيته".

تابعت لولا: "لقد باركتك والدتك بهذا الاسم الجميل.. إنّ كاتدرائيّة فالنسيا واحدةٌ من أهمّ الكاتدرائيّات في العالم، وتقع في إسبانيا".

أجبت: "لم أكن أعرف ذلك".

قالت لولا: "لعلّ والدتك تعرف".

قلت: "أشكّ في ذلك".

بدت وكأنّها تفكّر في إجابتي ثمّ قالت: "يجب أن تخبريها، لعلّها تودّ معرفة أنّها انتقت اسمًا قويًّا وجميلًا".

أجبتها: "أعتقد أنّها تعرف ذلك، فهي ليست من أولئك الذين يشكّكون في خياراتهم".

ضحكت لولا وتجعّد وجهها تمامًا، فتذكّرت ضحكة السّاحرات.

قالت لولا: "لقد أحببت والدتك".

رسم ذلك ابتسامةً على وجهي ولا أدري السّبب، ربّما لأني أعتبر والدتي أكبر مصدر إزعاجٍ في العالم.

قالت لولا: "هل يملك فيرجيلو رقم هاتفك؟ سأخبره أن يبعث رسالةً نصّيةً إليك عندما يعود إلى المنزل".

أدركت من حركة يديها أنّها تقصد الكتابة على الهاتف، وأنّها تتحدّث عن إرسال رسالةٍ نصّيةٍ. كنت أستطيع القول نعم، إلا أنني أجبت بالنّفي مباشرةً، وكانت تلك الحقيقة.

فوجدتها تلوّح إليّ كي أدخل إلى المنزل وأُدوّن رقمي على ورقة. التفتت ناحية كاوري وجين وهززت كتفيّ، لقد كانتا بعيدتين جدًّا فلم أرَ ملامح وجهيهما. كانت جين تقفز الحبل، وهي سريعةٌ جدًّا في ذلك.

كنت أجهل حرارة الطّقس في الخارج قبل أن أدخل إلى منزل فيرجيل وأحسّ نسيم جهاز التّكييف المنعش. مشت لولا أمامي ناحية مطبخٍ كبيرٍ. أغلقت الباب وتبعتها، ووجدتها تبحث في أحد الأدراج وتحرّك فمها، ولكنني عجزت عن فهم ما تقول لأنها تنظر إلى الدّرج بدلًا مني. أتعجّب كيف يتحدّث النّاس إلى جماداتٍ كالدّرجٍ بدلًا من أناسٍ حقيقيين أمامهم، يبدو الأمر مضحكًا حقًّا. كما سأبدو غريبة الأطوار لو انحنيت من أجل النّظر إلى وجهها، ولذلك التفت ونظرت بشكلٍ عاديّ إلى رفّ الكتب الكبير على الحائط، ولم أرهق نفسي في قراءة أسمائها، فتفحّصت صورة العائلة الموضوعة في إطارٍ والتي ضمّت ستّة أشخاصٍ، وقد ارتسمت على أوجه أربعةٍ منهم ابتساماتٌ كبيرةٌ مشرقة، وتجنّب ذلك شخصان آخران، أحدهما لولا التي كانت عابسةً قليلًا وكأنها تقصّدت رسم تلك التكشيرة من أجل الصّورة. كان

الشّخص الثّاني فتىً، ولم يعبس بل بدا أنّه يحاول جاهدًا تزييف الابتسامة على وجهه وقد فشل في ذلك. علمت مباشرةً أنّه فيرجيل، وأنّ وصف كاوري مألوفٌ جدًّا.

أنا أعرفه.

بحثت بين صور الأشخاص في ذاكرتي عنه ووجدته سريعًا، فهو يتردد على غرفة المصادر أيّام الخميس مثلي، وبدا هادئًا ولطيفًا مع أنه لم يسبق لنا أن تحدثنا.

أجفلت عندما لمست لولا كتفي. من يدري أنني سريعة الانفعال إلى هذا الحدّ؟

وجدتها تحمل قلمًا وقطعةً من الورق وتهزّهما أمام عينيّ.

سألتني: "هل سمعتني؟". لقد طلبت منّي أن أكتب اسمي ورقمي على الورقة.

أجبتها: "لا، أنا آسفة"، وأشرت إلى سمّاعتي.

دونّت معلوماتي على الورقة وأعطيتها إلى لولا. سيرتبك فيرجيل حقًّا بعد تلقّيه إيّاها، ولكن ما حدث قد حدث.

قالت لولا: "كانت هنالك فتاةٌ صمّاء في قريتي، عاملها النّاس وكأنّها غير موجودة لأنهم ظنوها أنّها لا تنتبه إلى أيّ شيءٍ، فباحوا بأسرارهم أمامها، ولكنّها سمعت كلّ شيء عن طريق عينيها". انحنت لولا إلى الأمام ونقرت زاوية عينها اليمنى.

أتساءل ما نوع الأسرار التي تعرفها تلك الفتاة.

قلت: "أنا أسمع عن طريق عينيّ أيضًا".

قالت لولا: "أعلم، لقد تبيّنت ذلك"، وغمزتني.

30
سموغ

أحبّ تشيت العصا لأنّها أداةٌ متعدّدة الاستعمالات، فهو يستطيع استعمالها في لكز الأشياء وضربها، أو التّلويح بها كسلاحٍ، والأهمّ من ذلك في البحث عن الأفاعي.

لم يرَ تشيت أيّ جلد أفعى في طريقه. كان يفترض به أن يُحضر ديفيد معه كي يرشده إلى حيث وجده، فيعرف تمامًا أين يجدر به أن يبحث. ولكن رغبته في خطف الأضواء، عندما يقبض على أفعى حقيقيّة، منعته من إحضاره، لقد أراد أن ينسب هذا الفخر إلى نفسه.

تخيّل أنّه قبض على الأفعى، وتخيّل نفسه يعقد الكيس وهي تتلوّى داخله، ثمّ حمله إلى المنزل مثل صائد الجوائز الذي أمسك بفريسته. سيصرّ أن يحتفظ بها كحيوانٍ أليفٍ، وسيدعو ديفيد، بعد وضعها في حوض، كي يرى الأفعى التي أمسكها، وسيقول له: "لقد أمسكتها بيديّ العاريتين".

لم يكن تشيت واثقًا من موافقة والديه على وجود أفعى في المنزل، ولكنه يستطيع إقناع والدته بذلك؛ فهي توافق دائمًا على ما يريده خاصّةً إذا ساندَه والده، ولكنّه يجهل موقفه من ذلك. أحبّ تشيت فكرة أن يكون والده شجاعًا لا يخاف شيئًا، ولكنه يدرك امتلاك كلّ شخصٍ نقطة ضعف خاصة. وهو مثل الجميع يمتلك نقطة ضعف، ولكنه لن يخبر أحدًا عنها.

يخاف تشيت الكلاب الكبيرة وليس الصّغيرة مثل التشيواوا، فهو يستطيع إطعامها إلى أفعاه.

قليلة هي الأشياء التي يخاف منها تشيت، مثل احتمال فشله في الانضمام إلى فريق كرة السّلّة رغم الجهود التي يبذلها في التّدريب؛ فقد سبق له أن فشل في دوري الصّغار، وعجز عن تسجيل أيّ سلة. مع عدم وجود فريق لكرة القدم في مدرسة بويد المتوسّطة، فقد غدت كرة السّلّة

فرصته الذّهبيّة كي يصبح رياضيًّا. يقول والده: "يكون الشخص نكرة إذا عجز عن إتقان شيءٍ"، إنّها واحدةٌ من عباراته المفضّلة. وما زال تشيت متوسط المستوى في كلّ شيءٍ، ويجد في كرة السّلّة السّبيل إلى تغيير هذا الأمر.

تستطيع الأفعى ذلك أيضًا، وقد امتلك خطّةً احتياطيّةً في حال رفض والداه إبقاءها في المنزل.

سيطلب من والده التقاط صورةٍ له وهو يحمل الأفعى كما يفعل الصّياد مع الأسماك الكبيرة، ثمّ سيرسل الصّورة إلى ديفيد مع رسالةٍ نصّيةٍ خبيثةٍ مثل: "هل بإمكانك أن تخبرني تفاصيل عثورك على جلد الأفعى مجدّدًا؟"، أو غيرها من العبارات التي احتفظ بها في ذهنه، وهو يمشي في الغابة حاملًا عصاه والكيس القماشي، باحثًا بين الأجمات الكبيرة الكثيفة حيث يسهل اختباء الأفاعي.

صاح تشيت: "لن تستطيعي الاختباء منّي"، وكأنّ الأفعى تتحدّث الإنكليزيّة.

تساءل عن الاسم الذي سيطلقه عليها. إنّ اسم "قاتل" طفوليّ جدًّا، واسم "كوبرا" بسيطٌ جدًّا.

قال تشيت وهو ينبش الأوراق قرب قاعدة إحدى الأشجار: "لعلّي سأدعوها سموغ".

أجل سموغ. يبدو هذا الاسم مرعبًا ويليق بأفعى، فضلًا عن أن التّنانين والأفاعي أقرباء على الأرجح.

لم يتحرّك شيءٌ تحت الأوراق، فتابع سيره وهو ينادي: "تعالَ إلى هنا يا سموغ"، وكأنّه ينادي قطّةً. نبش بسرعة أكوام الأوراق والأغصان اليابسة بحثًا عن سموغ، ولم تتسارع نبضات قلبه، فبدا وكأنه مصنوع من شيءٍ قويٍّ حقًّا.

فجأةً سمع صوت حفيف.

سمع تشيت صوت حركةٍ بين الأوراق يشبه ذلك الذي سمعه عندما رأى فالنسيا. فوقف، ونظر حوله، وشقّ عليه تحديد مصدر الصّوت الذي اختفى فجأةً.

شعر بذلك الإحساس الذي يشعر به المرء عندما يكون شخص أو شيء ما يراقبه.

قال تشيت: "مرحبًا، هل من أحدٍ هنا؟". في البداية، بدا صوته ضعيفًا، ولكنه رفعه، ومع ذلك لم يلقَ جوابًا.

هل هو صوت الفتاة وقد اختبأت بين الشجيرات؟ هل هي تلقي عليه تعويذةً ما؟

انتظر.

أشاح نظره عندما ساد الصّمت طويلًا وتمتم: "أيًّا يكن"، وتابع نبش الأوراق بعصاه. وعندما سمع صوتًا، توقّف قليلًا، ثمّ تابع النّبش.

اقترب خطوةً، وأصبحت مُقدمة حذائه الرّياضي أمام كومة الأوراق تمامًا. إنه واثق من سماعه صوت شيء يتحرك. تدفّق الأدرينالين في جسده، وانتصب شعر ذراعيه رغم حرارة الجوّ الشّديدة.

أحكم قبضته على العصا، وأبعد الأوراق ولم يتوقع رؤية شيء. لقد مضت ساعاتٌ على خروجه من أجل القبض على أفعى، وفقد الأمل في إيجاد سموغ، حتّى وجدها فعلًا.

رفعت الأفعى رأسها مباشرةً، وكانت في ثخانة خرطوم مياه الحديقة، ولكنها قصيرةٌ.

عندها أدرك تشيت أن معلوماته عن الأفاعي قليلة؛ فهو يعرف أن الأفعى تُمسك من ذيلها وليس من رأسها، ولكنه لا يعرف إن كانت سامّة أم لا. هل يمكن للأفاعي الصّغيرة أن تكون سامّة؟ كيف يعرف ذلك؟ كان يفترض به أن يجري بعض الأبحاث قبل توجّهه إلى الغابة، ولكن الأوان فات الآن. صحيح أنه يستطيع إخراج هاتفه وإجراء بحث تحت أنظار سموغ، ولكنّه أمام فرصةٍ ذهبيّةٍ الآن، فالأفعى تقف أمامه في انتظار أن يقبض عليها.

تسارعت ضربات قلب تشيت وخفق بقوّة.

قال تشيت: "يدقّ قلبي سريعًا بسبب الأدرينالين، وليس بسبب الخوف".

تسمّرت الأفعى في مكانها، واكتفت بالتحديق إليه ولم تصدر فحيحًا، ولم تترجح إلى الأمام والخلف مثل مصارعي السّومو، وكأنّها تنتظره أن يقبض عليها ويداعبها. بدا أنّها خلقت كي تكون حيوانه الأليف.

وكأنّ القدر قال كلمته.

ألقى تشيت العصا جانبًا، وفتح الكيس بحركةٍ واحدة مثيرةٍ، وتنفس بعمق مقتربًا من الأفعى.

انحنى إلى الأسفل، فرفعت الأفعى رأسها، ونظرت إلى الخلف، فخطف ذيلها بقوّةٍ، وهذا ما أتاح لسموغ وقتًا كافيًا ومساحةً مريحةً من أجل الالتفاف بحركةٍ واحدةٍ سريعةٍ وغرس نابيها في الجلد السّميك المرن لذراع الثّور اليمنى.

بدا الأمر مثل غرس القطّة مخالبها فيه، وأدرك تمامًا ما يشعر به قريبه الذي يربي قطة متوحشة. ولكن شتّان بين القطط والأفاعي. ألقى سموغ مباشرةً، وصرخ، وقد تيقن أنّه سيموت في غضون خمس دقائق.

استحالت ذراعه فورًا وردية اللون وآلمته. تخيّل السّمّ يجري في أوردته ويصل إلى قلبه. من سيجد جثّته؟ هل تلك الفتاة الصّماء، أم ذاك الولد المتخلّف؟

تمنى تشيت أن يعرف من سيجد جثته أنّه مات ميتة شجاعة عندما كان يتصارع مع زاحف متوحش، في صراع حياة أو موت.

أمسك ذراعه ونظر إليها. تجمّع الكيس بين الأوراق مثل بالونٍ مثقوب، وعندها أدرك تشيت أنّه فقد أثر سموغ التي اختفت مباشرةً. مشى بضعة أمتارٍ عن مكان الحادث بحثًا عن الأفعى، ثمّ جلس قرب جذع متينٍ لشجرة سنديانٍ منتظرًا الموت.

31
أحداثٌ مفاجئة

قالت كاوري: "ما دام فيرجيل خارج المنزل فهذا يعني أنه في ورطة، ولذلك نحتاج إلى تطبيق الطّقوس".

عادت الفتيات الثلاث من منزل فيرجيل وجلسن على أرضيّة غرفة المعيشة في منزل أسرة تاناكا ليناقشن خطوتهن التّالية، وشغّلن التّلفاز الذي شدّ انتباه جين. وقد رأت كاوري أنّ هذا أفضل إذ من يحتاج إلى رأي طفلٍ في مسألة حياةٍ أو موت؟

نظرت ريني إلى التّلفاز وقالت: "يصعب عليّ تمييز الأصوات في ظلّ تشويش التّلفاز، هل تمانعين خفض الصّوت قليلًا؟"، وحرّكت يديها قرب أذنيها، مُقلدةً الإشارة العالميّة لكلمة "تشويش".

نظرت كاوري إلى أختها وقالت: "أخفضي صوت هذا الشّيء".

كتمت جين صوت التلفاز من دون أن تشيح نظرها عنه.

سألت ريني: "هل قلت شيئًا عن طقس ما؟".

أصبحت ملامح كاوري جدّيةً، واستقامت في جلستها، وعقدت ذراعيها في حضنها وقالت في حرصٍ على قدسيّة الكلمات: "سنؤدّي طقس المفقودات، الذي سيساعدنا على إيجاد فيرجيل، ولكن يجب أن نذهب إلى الغابة حيث العناصر الطّبيعيّة اللّازمة من أجل تنفيذه، فهذا الشّيء ليس طبيعيًّا بالتّأكيد، وبالتالي لا يمكن أداء الطّقس هنا"، مشيرةً إلى التّلفاز.

أشارت ساعة الحائط العمليّة شديدة البشاعة، كما وصفتها كاوري، إلى الثّانية وتسع عشرة دقيقةً. تساءلت كم يجب أن يمضي من الوقت حتّى نعتبر أحد الأشخاص مفقودًا؟ لم يمضِ وقتٌ طويل على اختفائه، ولكن قد تحدث أمورٌ مروّعة خلال ثلاث ساعاتٍ وتسع عشرة دقيقة.

توقّعت كاوري سؤال ريني التّالي: ما هو طقس المفقودات؟ في الحقيقة، تجهل كاوري معنى ذلك، ولكنّها واثقةٌ من وجود طقسٍ مناسبٍ يساعد الوسطاء الموهوبين على إيجاد الأشخاص أو الأشياء المفقودة، ولكنّها تجهل طريقة تأدية هذا الطقس. ستكتشف ذلك تلقائيًّا، وسيساعدها الأسلاف على ذلك.

قالت كاوري: "لا وقت لشرح التّفاصيل"، ووقفت بسرعة وطقطقت أصابعها ناحية أختها، التي أدارت رأسها وليس عينيها ناحية كاوري.

تنهّدت كاوري، فهي تعتبر جين في بعض الأحيان عبئًا أكثر من كونها عونًا، وقد سبق لها أن شرحت أنها تعتبر التّلفاز تقليديًّا جدًّا ومملًّا في حياتها وحياة جين المسكينة التي تعجز عن فهم ذلك.

قالت كاوري: "أحضري علبة عيدان الثّقاب السّرية الخاصّة بوالدتنا يا جين، سنذهب إلى الغابة".

أخفت السّيدة تاناكا علبة عيدان الثّقاب في الدّرج الثّاني تحت المايكروويف، واستعملتها من أجل تدخين سجائرها السّرّية التي اعتقدت أنّها تخفيها عن ابنتيها.

ذات مرة قالت كاوري: "ليس بإمكانك إخفاء شيءٍ عنّي يا أمّي، فأنا أمتلك الحاسّة السّادسة".

سألت والدتها: "وممن ورثتها؟ فلم يسبق لأحد أفراد العائلة أن كان مهتمًا بها".

لم تؤمن السّيدة تاناكا بالحياة السّابقة، أو بهذا النّوع من الوراثة الذي يصلنا من الأسلاف الذين لا نعرف عنهم شيئًا.

تصوّرت كاوري ولادتها وكأنّها تخرج من بين أزهار الخزامى بشعرها الأسود غاضبةً، نتيجة الظّلم الذي تعرّضت إليه في حياتيها السّابقتين حسب توقّعاتها.

كانت حياتها الأولى في مصر القديمة، وعرفت ذلك من حلم راودها. فقد رأت نفسها تمشي بين الأهرام مرتديةً رداءً أبيض طويلًا، وهل يوجد تفسيرٌ أكثر منطقيّة من زيارتها الأهرام في حياتها الحقيقية؟

وعاشت حياتها الثّانية بصفتها محاربًا من أجل الحرية في بنغلادش، وأدركت ذلك بعد رؤيتها بعض الصّور عن بنغلادش في جزءٍ من برنامجٍ وثائقيّ على التّلفاز، والتي بدت مألوفةً جدًّا بالنسبة إليها من دون أن تعلم السّبب. لعلّها استطاعت أن تعرف ما لم يغيّر والدها القناة، وقد حاولت إقناعه أنّها تحتاج البرنامج الوثائقي من أجل اكتشاف خطايا الحياة السّابقة، ولكنّه قال إنّهم في فترة جنون آذار[9]، وأنّ خطايا الحياة السّابقة لم تحدث خلال موسم كرة السّلّة الجامعيّ.

إنّ رفض والديها الاعتراف بإرثها السّرّي وقواها السّحريّة الغامضة لا يعني أنها ليست كذلك، فهما يفتقران إلى المخيلة الرحبة؛ إذ تدخّن السّيدة تاناكا سيجارةً أو اثنتين أسبوعيًّا على الشّرفة الخلفيّة، ولم تلحظ وجود نافذة غرفة نوم كاوري خلفها، وبالتّالي دخول دخان السّجائر إلى غرفة الأرواح مباشرةً.

لا سبيل إلى فهمهما.

ماطلت جين في تنفيذ مهمّتها في جلب عيدان الثّقاب، لكي تشاهد نهاية برنامجها التّلفزيوني حتّى طقطقت كاوري أصابعها مجدّدًا وقالت: "لا يمكن تأجيل مهمّات إنقاذ الحياة حتّى نهاية الفواصل الإعلانيّة كما تعلمين. علينا أن نسرع قبل عودة السّيد والسّيدة تاناكا إلى المنزل".

استمرّت جين في مماطلتها، واتّجهت ريني صوب الباب حاملةً حقيبتها على كتفها. أخذت كاوري شمعةً من شمعدان والدتها الموضوع على الطّاولة ودسّتها في جيبها الخلفي، وتبعت ريني إلى الخارج.

أسرعت جين فور سماعها صوت الباب، وأخذت حبل القفز، ووضعته حول رقبتها فتدلّى فوق كتفيها.

سألت كاوري: "لماذا تأخذين حبل القفز معك إلى كلّ مكانٍ نذهب إليه؟ فنحن لا نريد أن نقفز فوق الحبل بين الأشجار".

قالت جين: "لا أحد يدري متى نحتاج إليه".

قالت كاوري ساخرةً: "حقًّا؟ أنت غريبة"، وأخذت عيدان الثّقاب من أختها الصّغيرة وانطلقت الفتيات الثّلاث تحت أشعّة الشّمس الحارقة.

قالت جين: "إنّ الطّقس حارّ جدًّا، نستطيع أن نطهو بيضة هنا"، فهي سمعت شيئًا بخصوص إمكانيّة طهو بيضةٍ على سيّارةٍ أو أرضيّةٍ إسمنتيّةٍ إن كانت الحرارة مرتفعة جدًا، وواظبت على إزعاج كاوري بشأن هذا الموضوع منذ ذلك الوقت.

قالت كاوري: "ليس لدينا وقتٌ من أجل التّجارب العلميّة". أقفلت الباب، ووضعت المفتاح في جيبها.

أصبحت ريني على بعد أقدامٍ قليلة منهما وكانت تتجه إلى الشّارع.

قالت جين: "لن يستغرق كسر البيضة أكثر من ثانيتين".

قالت كاوري: "كيف تستطيعين التّفكير في البيض في وقتٍ كهذا؟"، وتبعتا ريني التي توقّفت بالقرب من صندوق بريد منزل تاناكا.

قالت جين: "أراهن أنّه بخير، لعلّه نسي الموعد فقط، ما هو أسوأ الاحتمالات؟".

قالت كاوري: "لا أظنك تودين سماع الإجابة".

سألت ريني: "إلى أين سنذهب تحديدًا؟".

قالت جين: "هذا صحيح، إلى أين سنذهب *تحديدًا*/ حاملين الشّمعة وعيدان الثّقاب؟".

أشارت كاوري إلى الأمام، ولم تنحرف عن مسارهما مثل قائدٍ عسكريّ يقود جنوده إلى المعركة.

قالت: "من هنا".

عبرن الطّريق، ودخلن الغابة جنبًا إلى جنب. جذبت جين كمّ ريني وسألتها: "هل تؤلمك سمّاعتك؟".

قالت ريني: "تسبّب الحكّة أحيانًا وهذا يؤلمني قليلًا".

حمتهنّ ظلال الأشجار من حرارة الشّمس خلال سيرهنّ، ودقّقت كاوري النّظر في محيطها الذي لا تألفه. فالمرء قد يصادف مفاجآت كثيرة في الغابة؛ مثل الكائنات التي تعض، والأغصان المتساقطة، والحشرات اللّاسعة. في الحقيقة، كانت تخاف من الغابة، ولذلك فضّلت الاسترخاء في المنزل حيث تعلم تمامًا ما يمكن أن يحدث. ولكن ما بيدها حيلة الآن؟ فهي لن تجد فيرجيل مختبئًا تحت إحدى الأرائك.

سألت جين: "هل عليك قراءة الشّفاه رغم وضعك سمّاعة؟".

انكسرت بعض الأغصان تحت أقدامهنّ.

قالت ريني: "لا تساعدني على سماع الأصوات بوضوحٍ تامّ كما تسمعينها، ولذلك يجب أن أجمع بين الأصوات وحركة الشّفاه، مثل الأحجية، ثمّ أطابق بين الأصوات والأشكال والموقف. إن حركة الشفاه وهي تنطق كلمات كثيرة تكون متشابهة مثل لبّ، ودب، وحبّ وغيرها"، ونظرت إلى الأشجار.

سألت جين: "هل ولدت صمّاء؟".

أجابت ريني: "لا، كنت أسمع قليلًا، وهكذا تعلّمت الكلام. ولكن سمعي بدأ يتلاشى بالتدريج حتّى اختفى تقريبًا".

قالت جين: "أتساءل إن كان سمعي سيتلاشى يومًا ما".

قالت ريني: "أشكّ في ذلك".

سألت جين: "هل تستطيعين قراءة الشّفاه عن مسافةٍ بعيدةٍ إذا كان معك منظار؟".

عجزت كاوري عن تحمل ذلك، إذ كيف يجب أن يتّحدن مع الغابة وسط ثرثرة جين؟

قالت كاوري: "توقّفي عن طرح الأسئلة"، وسمعت طنينًا قرب أذنها ولوّحت ناحيته.

التفتت جين إليها وقالت: "لماذا؟".

قالت كاوري: "لأنّها أسئلةٌ غير مهذّبة".

قالت جين، ونظرت إلى زبونتهما الجديدة ولمست يدها وقالت: "ولكن ريني لا تمانع أن أسألها... هل تمانعين؟".

قالت كاوري: "أنا أمانع ذلك، إذ يجب أن نحافظ على تركيزنا وتحول ثرثرتك دون ذلك".

ترفض كاوري أن تعترف أنّها تحبّ وجود جين كنائبتها في القيادة، لأن ذلك يعني أنّها القائدة الأولى دومًا. ولكن بدا أنّ ريني قائدةٌ بالفطرة، إذ تقدّمتهما على الطّريق مع أنّها لا تعرف المكان الذي يجب عليهن بدء البحث فيه. كانت كاوري مستعدّةً أن تراهن بنقودها على أنّ ريني من برج الأسد.

قالت كاوري: "دعونا نقف هنا".

توقّفت جين ثمّ ريني، ونظرتا إلى كاوري بفضول.

حاولت كاوري أن تعطي نفسها أكبر قدر من السلطة عندما قالت: "نحتاج إلى حجرٍ معيّنٍ كي نؤدّي هذا الطقس بشكلٍ ملائم".

سألت جين: "مثل الحجارة الخمسة التي طلبتِ من فيرجيل إحضارها؟".

سألت ريني: "أيّ حجارةٍ؟"، وتناوبت النظر إلى الأختين.

تجاهلت كاوري سؤال ريني لأن لا وقت لديهن لشرح التّفاصيل الدّقيقة فتابعت: "نحتاج حجرًا واحدًا فقط يدعى عقيق جلد الأفعى".

هزّت ريني رأسها وسألت: "هل قلت إنّنا نحتاج إلى حجر عقيق جلد الأفعى؟".

قالت كاوري: "هذا صحيح".

سألت جين: "وما هو هذا الشّيء؟".

فتحت كاوري يديها وكأنّ الحجر سيظهر بينهما تلقائيًّا وقالت: "إنّه حجرٌ قد لا يتجاوز حجمه حجم بيضة الحمام، ويحمل ما يشبه الحراشف، ولذلك يدعى عقيق جلد الأفعى".

عبست ريني وقالت: "لن تجدي واحدًا في هذه الغابة أبدًا".

سألت كاوري: "وما أدراك؟ توجد في الغابة شتى أنواع الحجارة".

أجابت ريني: "في العادة، يعثر على هذا النوع من الحجارة في مجاري الأنهار الجافّة أو على الضفاف، وأنا لا أرى مياهًا هنا"، وأشارت ريني حولها إلى الأغصان الجافّة والأشجار الباسقة.

عقدت جين ذراعيها ورفعت حاجبيها ونظرت إلى كاوري وقالت: "وماذا الآن؟".

لم تقل كاوري شيئًا، إذ جلّ ما عرفته أن ريني مُحقّة، أضف إلى ذلك أنه لم يسبق لها أن رأت عقيق جلد الأفعى، ولكنها درست كثيرًا عن الحجارة الكريمة، وهي تدرك تمامًا نوعها والغاية من استخدامها. فعقيق جلد الأفعى يساعد على إيجاد ما هو مفقود مثل فيرجيل، وأرادت إيجاده من أجلها إن لم يكن من أجله، لأنّها أرادت معرفة إن كان على قيد الحياة رغم سخافته.

قالت كاوري: "أعتقد أنّنا لن نحتاج إليه بالتحديد، يمكننا أن نستبدل به ما يشبهه. أقصد أنّه الحجر المنشود، ولكن أعتقد أنّنا نستطيع ان نجد حجارة تشبهه وتحمل حراشف، ولعلّ طاقتنا ستعوّض النّقص الحاصل".

التفتت جين إلى ريني لترى ردّ فعلها، وسألتها: "ما رأيك؟".

عبست كاوري، فهذه هي المرّة الأولى التي تسمع فيها جين رأي شخص آخر، فهي لا تطلب حتّى رأي والديها.

قرأت ريني وجه جين، ثمّ التفتت إلى كاوري، وبعد برهة قالت: "أعتقد أنّ علينا اتّباع تعليمات أختك".

شعرت كاوري بموجة من الارتياح، إذ تخاطرت الفتاتان الكبيرتان معًا، واستطاعتا التّفاهم من دون حاجة إلى الكلام، وقد قدّرت كاوري أمورًا كهذه نظرًا لكونها فتاةً موهوبةً وتملك الحاسّة السّادسة، فابتسمت ابتسامةً صغيرةً جدًّا كتلميحٍ بسيط إلى ريني، التي بادلتها الابتسام.

في تلك الأثناء، سمعت الفتيات صرخةً.

32
أسوأ ما يقال

افترض فيرجيل أن يصيبه واحد من الأمور الثلاثة التالية ما لم يُجهز عليه باه؛ أن يختنق، أو يموت جوعًا، أو عطشًا، ولم يعرف أي الاحتمالات هو الأسوأ.

ربما تتزامن الاحتمالات معًا، فيعجز عن التّنفّس وتؤلمه معدته من الجوع ويجفّ حلقه ويصبح صلبًا كالعظام ويتوقّف قلبه.

ما هو مقدار الهواء الموجود في بئرٍ مهجورة؟

هل يوجد مخزونٌ محدّد؟

هل سينفد في النّهاية؟

هل سيعود باه؟

فاضت عيناه بالدمع، فأغمضهما محاولًا كبح جماح حزنه، ونظر عاليًا بحثًا عن منافذ من أجل التّهوية. ولكن الظلام كان دامسًا، وإذا لم يجد الضّوء سبيلًا إلى الأسفل، فكيف سيستطيع الهواء؟

قال في نفسه: "هذا لا يهمّ إذ سأتضوّر جوعًا في أيّ حال".

أطعم جوليفير قطعة هندباءٍ من دون أن يستطيع رؤيته، ولكنه أحسّ به يقضم ساق الهندباء وسمع صوت مضغه إيّاها.

يعجز المرء عن توقّع الحدث التّالي في حياته أو تجنّبه.

من المحتم أن تسير الأحداث وفقًا لما هو مقدّر لها، وإن لم يعجب ذلك فيرجيل.

قد يصيبه ما أصاب أيّ شخصٍ آخر.

بكى فيرجيل مجدّدًا، وتساقطت دموعه مثل قطرات الماء التي تتسرّب من الصّنبور، وحاول جاهدًا كبحها- فهو يكره البكاء وترطيب الدّموع وجهه وانتفاخ عينيه وإيلام حلقه- ولكن من دون فائدة. بل ازدادت غزارةً وشدّةً وكأنّ الصّنبور قد انفتح عن آخره، واحتاج فيرجيل أن يلتقط أنفاسه على دفعاتٍ خلال البكاء. وماذا في الأمر إن كان ضعيفًا أو طفلًا أو سلحفاةً خائفة؟ لقد تمّلكه الخوف وسط البئر التي احتُجِز فيها دون امتلاكه صديقًا في هذا العالم.

سمع مرّةً أنّ المرء يرى قبل وفاته شريط حياته أمام عينيه. لم يكن واثقًا أنّه وصل مرحلة الموت بعد، ولكنه رأى بضع صورٍ في أيّ حال. فكّر في لولا، ويديها وملمسهما الذي يشبه ملمس الورق، وفي قصصها، وكيفيّة إطرائها على أصابعه، وتشجيعها إيّاه كي يتعلّم العزف على البيانو، وكيف روت له قصص باه، وولد الصّخرة، وملكة الشّمس. لكنّه ندب حظّه الذي حال دون سماعه قصّةً عن الهروب من البئر، ويبدو أنّه لن يسمعها أبدًا.

فكّر في والديه وأخويه، وأسلوبهم في الكلام الذي يشبه الهتاف، ومواظبتهم على السّخرية من خجله، وهدوئه، واعتقادهم أنّ خوفه من الظّلام أمرٌ سخيف. تذكّر كيف تعود أن يتخيّل نفسه وقد نقلته مياه النّهر إلى والدته التي وجدته وهتفت: "يا إلهي، إنّه ولدٌ يتيم، سآخذه إلى المنزل مباشرةً". وأدرك الجميع فور رؤيته أنّه مختلفٌ عنهم، ولكنّهم أحبّوه واستقبلوه بينهم. وأحبّهم بدوره أيضًا، رغم أنّه عجز عن فهمهم، وسيبقى عاجزًا.

أخيرًا، تذكّر فالنسيا.

مسح المخاط عن أنفه بظهر يده ومسحه على بنطاله، وهو شيءٌ لا يفعله عادةً، ولكن آداب اللياقة لم تعد مهمة الآن، فقد كان يختنق في أرض الفرص الضائعة. عليه أن يتحدّث إلى فالنسيا، وعليه أن يخبر لولا بأنه يحبها، ويحاول فهم والديه وأخويه، ويشكر كاوري لأنها صديقة جيّدة، ولكن فات الأوان.

من المؤكد أن باه سيأتي في نهاية المطاف ويتناول جوليفير وكأنه مقبّلاتٍ قبل الانقضاض عليه، ولا أمل في النّجاة حتّى وإنّ لم يحدث ذلك.

أخذ فيرجيل أنفاسًا قويّة، وبكى حتّى جفّت دموعه. سيُعثر عليه؟ أصبح الثّور أمله الوحيد الضعيف في النّجاة، فربما نسي أمره تمامًا، وعاد إلى وكره وكتب في دفتر أعماله الشّريرة على صفحة أوّل أيّام الصّيف: *احتجزت فيرجيل ساليانس في البئر.*

آلمت فيرجيل وجنتاه، وأحرقته عيناه، وخفق منخارا أنفه من نقص الهواء.

كره البكاء كثيرًا لأنّه مؤلمٌ جدًّا.

قالت روبي بلطفٍ: "يفيد البكاء روحك يا فيرجيل، ويعني وجود شيءٍ يحتاج أن تحرّره وإلّا سيثقل كاهلك كثيرًا".

قال فيرجيل: "أنا أعجز عن فعل أيّ شيء"، وبدا صوته أجش إثر البكاء.

قالت روبي: "حاول الصرّاخ مجدّدًا".

ضغط فيرجيل قاعدتي يديه على عينيه وقال: "ما الفائدة من ذلك؟ فلن يستطيع أحد سماعي".

أجابت روبي: "إيّاك والسّؤال عن فائدة شيءٍ مجدّدًا في حياتك، لأنّه أسوأ الأسئلة في العالم".

قال فيرجيل: "أنت تشبهين لولا".

قالت روبي: "هذا جيّد".

قال فيرجيل بهدوءٍ: "أنا أفتقدها"، وقد أحرجه هذا الاعتراف، ولكنه شعر بالحاجة للإفصاح عن ذلك. أخبرته لولا مرّةً أنّ قول الأشياء بصوتٍ عالٍ يساعد على تخفيف عبئها. ولكن بدا أنّ طريقتها قد فشلت، فهو ما زال يفتقدها.

قالت روبي: "وكأنّك لن تراها مجدّدًا".

أجاب فيرجيل: "وما أدراك؟ إذ سيفشلون في العثور عليّ وإخراجي من هنا، لا أملك فرصةً للنجاة".

قالت روبي: "إيّاك والانتقاص من فُرصِك يا باياني".

قال فيرجيل: "حسنًا، ولكن الأوان فات".

تنهّدت روبي، وانتشر صوتها مثل سحابةٍ خفيّةٍ من الدّخان، وقالت: "وهذه العبارة أسوأ من سابقتها".

استلقى فيرجيل إلى جوار جدار البئر، وأراد النّوم، ولكن الجوع حال دون ذلك. فضلًا عن أنّ باه يحوم كالنّسر في مكانٍ ما ويراقبه، منتظرًا الفرصة المناسبة كي ينقضّ عليه.

لم يتجرّأ فيرجيل على النّظر إلى الأعلى، أضف إلى ذلك أن الظّلام حال دون رؤيته أيّ شيء.

وهذا ما يُفضّله باه.

أجفل فيرجيل، وفكّر في تلك الرّيشة التي كانت على خدّه، وذلك الضّجيج.

وضع يديه على أذنيه.

قالت روبي: "حاول الصّراخ واطلب المساعدة مجدّدًا".

قال فيرجيل: "لا أريد ذلك، لعلّه..".

سألت روبي: "لعلّه ماذا؟".

قال في نفسه: "***لعلّ الصّراخ سيرشد باه إلى مكاننا فينقضّ علينا مباشرةً من مخبئه***".

قالت روبي: "لقد أخبرتك أنّه يتغذّى على خوفك فيكبر أكثر، تجاهله، واكتفِ بالصراخ. افعل ذلك من أجلي".

أنزل فيرجيل يديه ببطءٍ، وخيّم الهدوء على المكان.

قالت روبي: "لا يمكن أن تستسلم هكذا".

أجاب فيرجيل: "في مرحلة ما يُفترض بالإنسان أن يستسلم، هذه هي الحقيقة".

قالت روبي: "أعطني مثالًا عن ذلك".

أجاب فيرجيل: "لقد تعبت من تقديم الأمثلة".

قالت روبي: "لا تتجنّب السّؤال لأنّك لا ترغب في إيجاد إجابته".

تنهّد فيرجيل، وفكّر قليلًا قبل أن يقول: "حسنًا، فلنقل إنّك اشتركتِ في سباقٍ طويلٍ جدًّا معتقدة أنّك تستطيعين الفوز، وواظبت على التّدريب أشهرًا أو سنواتٍ، وأخيرًا حل اليوم المنشود. بدأتِ الرّكض واجتزتِ مسافةً معيّنةً قبل أن تتعب ساقاك كثيرًا، وتشعرين بالعطش، وتواجهين صعوبة في التنفس، وكان خط النهاية بعيدًا جدًا، فتقيّأتِ أو عانيتِ من شيء آخر، وأدركت أنّك ستنهارين في حال أكملت السّباق، ولذلك ستتوقّفين وتجلسين على طرف الطّريق مستسلمةً كي تتفادي الموت".

قالت روبي مباشرةً: "يا له من مثال شنيع".

عبس فيرجيل وحدّق إلى الظّلام وقال: "ليس شنيعًا على الإطلاق".

أصرّت روبي على موقفها.

سأل فيرجيل: "وأين الشّناعة فيه؟".

أجابت روبي: "لأنّ بطل قصّتك خاض السّباق الذي كان يفترض به أن يتجنبه منذ البداية، إن كانت لديه نية الاستسلام".

تنهّد فيرجيل مجدّدًا وقال: "أودّ الخلود إلى النّوم... هل تستطيعين مراقبة المكان من أجلي؟".

قالت روبي: "سأفعل ذلك إن صرخت مرّةً أخيرةً".

سألها: "هل تعدينني بذلك؟".

قالت روبي: "أعدُك يا باياني، ولكن أصرخ عاليًا جدًّا".

أخذ فيرجيل نفسًا عميقًا جدًّا حتّى ملأ الهواء كامل رئتيه، وفتح فمه عن آخره وصرخ كثيرًا حتّى اختفى صوته تمامًا.

33
تاناكا وسومرسيت

سألت كاوري: "هل سمعتما ذلك الصّوت؟"، وقد رفعت يديها وكأنّها تطلب منهما التوقف في مكانهما.

اتّسعت عينا جين وخطت خطوتين ناحية أختها الكبيرة وقالت: "لقد سمعته".

نقّلت ريني نظراتها بين الأختين وسألت: "ماذا؟ ماذا جرى؟".

وقفت جين من دون أن تحرّك ساكنًا سوى عينيها اللتين مسحت المكان بهما وقالت: "لقد بدا مثل...".

قالت كاوري: "بدا مثل شخصٍ يطلب المساعدة".

صاحت ريني: "هل تقصدين أنّك سمعت صراخ أحدهم؟ هل أنت متأكّدةٌ من ذلك؟".

أجابت الأختان معًا: "نعم".

أشارت كاوري ناحية الغرب وقالت: "لقد جاء من ذلك الاتّجاه".

تحركت الفتيات الثّلاث بسرعة في ذلك الاتّجاه، وفكّرت كاوري في عشرات الاحتمالات. لقد تخيّلت فيرجيل جاثيًا تحت شجرة صفصافٍ وهو ممسك بقدمه المكسورة، أو أنّه عالقٌ على أعلى غصنٍ من أطول أشجار الغابة كالقطّة، رغم أنّها تعلم أنّه أذكى من أن يتسلّق شجرةً مرتفعة، أو أنّه مستلقٍ إلى جوار صخرةٍ وقد تورّم رأسه.

فكّرت في فيرجيل، ولم يخطر في بالها أنّهنّ سيصادفن بعد دقيقتين من المشي شخصًا آخر: جلس فتىً غريبٌ على الأرض مستندًا إلى شجرة صنوبرٍ وقد لفّ قميصًا أبيض حول ذراعه المتورّمة.

تحوّلت ملامح وجهه بعد رؤيتهنّ من الخوف والحزن إلى الخوف والانزعاج، ونظر إلى كاوري وجين ثمّ نظر إلى ريني. استعاد رباطة جأشه عندما رآها وبدا مختلفًا عن الشّخص الذي كان يصرخ منذ قليل.

قال غاضبًا: "ما الذي تفعلينه هنا؟".

تبيّن أن كلا منهما يعرف الآخر، أو أنّ ذلك ما أخبرت الحاسّة السّادسة به كاوري حينها.

سألت ريني في برودٍ: "هل صرخت طالبًا المساعدة؟".

تأفّف الفتى، وأشاح عينيه عنهنّ، وقرّب ذراعه إلى صدره، فأدركت الفتيات الثّلاث مباشرةً أنّه من صرخ مع أنه نفى ذلك.

سألت جين: "ما الذي أصاب ذراعك؟"، وقد زال شحوب وجهها، واتّجهت ناحية الضّمادة المؤقّتة والتي أدركت كاوري أنها كيس قماشي وليست قميصًا.

قال الفتى فخورًا بنفسه: "لقد عضتني أفعى كبيرة جدًّا مثل الكوبرا، وأوشكت أن تقتلع ذراعي من مكانها".

سألته جين وبدت مندهشة: "حقًّا؟".

حدّق إليهنّ وقال: "أجل، وربّما سأموت قبل أن أصل إلى المستشفى، أنا متأكّد من أنّها أفعى سامّة".

طلبت ريني من جين أن تحمل لها حقيبتها، وركعت إلى جواره، ومدّت يديها إليه وحرّكتهما طالبة منه أن يريها مكان العضة، مثلّ الأمّ التي تتعامل مع طفلٍ مدلّل.

سحب الفتى ذراعه وقال: "ماذا ستفعلين؟ هل ستلقين تعويذةً عليها أو شيئًا مثل التعويذة؟".

تململت ريني وقالت: "أنا أعلم أشياء كثيرة عن عضات الأفاعي، دعني أرَ ذراعك".

قال الفتى: "هذا مستحيل".

أنزلت ريني يديها وهزّت كتفيها قائلةً: "حسنًا، ولكن يجب أن تعلم أنّ إبقاءك هذا الشّيء ملفوفًا حول ذراعك قد يؤدّي إلى بترها. لا يجب أن تغطّي الجرح بهذا الشكل".

نفخ الفتى مستهزئًا وقال: "أنت غبية حقًّا، يعرف الجميع أنه يجب تضميد الجراح".

قالت ريني: "يختلف الأمر في حال عضة الأفعى التي لا أعتقد أنّها سامّة على أيّ حال. إن الضمادة ترفع حرارة الجلد وتساعد الرطوبة على تكاثر الجراثيم، وهذا ما يؤدي إلى التهاب ذراعك، وإذا انتشر الالتهاب فيها سيضطر الأطباء إلى بترها"، ومثّلت حركة القطع على ذراعها.

سألتها جين: "كيف تعرفين ذلك؟"، وقد بدت خائبة الأمل. فقد كانت تتوق إلى لقاء شخصٍ على مشارف الموت بسبب عضة أفعى، ولكن يبدو أنها أمام فتى مغفل سيؤدي تصرفه غير المسؤول إلى انتشار الالتهاب في ذراعه.

راقبت كاوري كلّ شيءٍ باهتمام، ولاحظت سعة معرفة ريني بشأن الطّبيعة والحيوانات، وفكّرت في إمكانية أن تتشارك وإياها في العمل.

فكاوري تستطيع قراءة الطّالع وتوفير إرشادٍ روحيّ، وستساعدها ريني في التّعويذات وغيرها، كإيجاد الحجر الذي تريده كاوري تمامًا من أجل أداء طقسٍ ما. بإمكانهما أن تطلقا على عملهما المشترك اسمًا جاذبًا، وبالتأكيد لن يكون كاوري وريني، فهو يبدو ضعيفًا، فهما بحاجةٍ إلى اسمٍ جيّدٍ، ومتّزن، ولائقٍ. فكّرت كاوري في استعمال اسمي عائلتيهما، تاناكا و...

ربّتت كاوري كتف ريني في الوقت الذي رفع فيه الفتى ذراعه الملفوفة على مضض.

التفتت ريني إليها.

سألت كاوري: "أريد سؤالك من باب الفضول... ما هو اسم عائلتك؟".

تردّدت ريني قليلًا ثمّ أجابت: "إنّه سومرسيت".

تاناكا وسومرسيت، إنّه رائع ويناسب العمل تمامًا.

تخيلت كاوري صورة لافتتهما اللّامعة المضيئة وأوشكت أن تحسّ بوميض أضوائها: *تاناكا وسومرسيت، تاناكا وسومرسيت، تاناكا وسومرسيت*.

أزالت ريني الكيس وألقت به جانبًا. في تلك اللّحظة، أسرعت جين وجلست إلى جوارهما.

قالت ريني: "هل هذه هي عضة الأفعى الكبيرة؟".

نظرت كاوري إلى الجرح، وتوقّعت رؤية شيءٍ أكثر شناعةً مثل تورّمٍ كبيرٍ يخرج منه القيح، ولكن الأمر لم يتجاوز احمرارًا بسيطًا، وقد اختفت علامات الأنياب أيضًا.

قالت جين: "تبدو ذراعك سليمةً تقريبًا".

صاح الفتى: "هذا غير صحيح. ولكنني أمسكتها بيدي الأخرى مباشرةً ما إن عضتني، ومنعتها من أذيّتي أكثر، واقتلعت نابيها من ذراعي، ثمّ لويت عنقها وألقيتها في تلك البئر القديمة".

نظرت ريني إلى كاوري نظرةً ساخرةً.

سألت جين: "كيف عرفتِ أنّها ليست سامّة؟". نظرت ريني إلى ذراع الفتى وليس إلى جين، وحال ذلك دون سماعها.

سحب الفتى ذراعه كي يلفت انتباه ريني، التي نظرت إليه، ورأت كاوري الشرر يقدح فيهما.

قال الفتى: "لقد طرحت عليك هذه الفتاة الغبية سؤالًا".

انتزعت جين حبل القفز عن كتفها مثل السّوط، ولكن بدا من لونه الوردي الفاقع وملصقات الأوجه السّعيدة على مقبضيه أنه غير مؤذٍ وسألته: "ماذا دعوتني؟".

تجاهلها الفتى، وكرّر سؤالها على مسامع ريني، وضمّ ذراعه إلى صدره وكأنّها قطعة مجوهراتٍ غالية الثّمن.

أخذت ريني تعدّ على أصابعها قائلةً: "لأنّها لا ترتقي إلى مستوى عضة الأفعى، بل تشبه لسعة الدّبّور، وأنت لا تختنق، ولا تعاني من الحمى أو نوبة اختلاج، وتتحدّث إلينا بطريقتك الحمقاء التي أعرفها. لعلّها عضة أفعى ماءٍ أو أفعى مخطّطة، أو لعلّها الرّاسرة الشّماليّة أو ما شابه، وجميعها غير سامّة".

نهض قائلًا: "أجل، أيًّا يكن أيّتها الصّماء".

سألته كاوري: "كيف عضتك الأفعى؟"، وحاولت جعل نبرة صوتها منخفضة قدر الإمكان.

أجاب: "لقد قضيت اليوم محاولًا إمساك أفعى من أجل قتلها بيديّ العاريتين، هذا ما كنت أفعله"، ومدّ يديه أمامها.

قالت كاوري: "هل يجب أن يبدو هذا الأمر مدهشًا؟ لأنني أجدك مختلًّا عقليًّا".

وقفت ريني وقالت: "يجب أن تعود إلى منزلك وتضع مكان الإصابة المزعومة تحت المياه الدّافئة، ثمّ اغسلها بقليلٍ من الصّابون كي تتجنّب الالتهاب، وإلّا فأنت تعلم ما ينتظرك. وبالمناسبة أنا لا أدعى صمّاء، بل فالنسيا".

تبادلت كاوري وجين نظراتٍ حائرة.

"*اسمي فالنسيا*".

قالت جين نيابةً عن أختها: "اعتقدنا أنّ اسمك ريني". ولكن فالنسيا كانت تنظر إلى ضحيّة عضة الأفعى الذي مشى بعيدًا، وبالتالي لم تسمع ما قالته جين.

34
فالنسيا

يجب أن أعترف أنّ كون الأفعى غير سامّةٍ خيّب أملي قليلًا، فأنا لم أتمنَّ أن يتورّم حلق تشيت أو شيءٍ كهذا فأنا لا أرغب أن يصيب أحد مكروه، ولكن لا بأس في زيارة إلى غرفة الطّوارئ في المستشفى رفقة شخصٍ أصاب الإنتان ذراعه بعد عضة سامّة. سيحصل تشيت حينها على قصّةٍ مشوّقةٍ كي يرويها، ولذلك لعلّ ما حدث هو الأفضل. نسجت أحداث قصّته مباشرةً: *"لقد أسعفتني الفتيات إلى المستشفى وأوشكت أن أموت"*.

أخبرني الأطبّاء أنني محظوظٌ في قتل الكوبرا في الوقت المناسب، من الجيّد أنني امتلكت القوّة الكافية كي أقضي عليها وأرميها في تلك البئر".

ولكنه سيروي هذه الكذبة في أيّ حال.

التقطتُ الكيس القماشيّ بعد مغادرته مثل جوربٍ قذرٍ. لم أكن مهووسةً بقطعة قماشٍ أغرقها عرق تشيت، ولكنني لوّثت الغابة كفايةً بأوعية والدتي البلاستيكية، وأقلّ ما يمكنني فعله هو التّخلّص من هذا الشّيء الكريه كي أبعده عن متناول السّناجب أو ساكرد الذي لا أطيق فكرة عبثه بشيء كهذا.

التفتُّ إلى جين وكاوري ورأيت علامات الحيرة على وجهيهما بعد اكتشافهما زيف هويّتي.

قالت كاوري: "يجب أن نعمل معًا".

سألتها: "ماذا تقولين؟"، وقد تيقّنت أنني أخطأت تفسير كلامها.

كرّرت كاوري جملتها: "يجب أن نعمل معًا، فأنا ضليعة في عالم الأرواح وأنت ضليعة في عالم الطّبيعة، وهذه شراكةٌ مثاليّة، لعلّ القدر جمعنا معًا كي نصبح صديقتين".

شعرت من الطريقة التي نطقت بها كاوري كلمة صديقتين بأنني وجدت كنزًا. أدرك سخافة الأمر، ولكنني في تلك اللّحظة، شعرت أنني شخصٌ آخر. هل هذا ممكن؟

قلت: "أو لعلّها مجرّد صدفة".

قالت كاوري وجين معًا: "لا توجد صدفٌ في هذا العالم".

لقد أضحكتنا تلك العبارة، فنسيت تمامًا أنني أحمل كيس تشيت القذر.

توقّفنا عن الضّحك، وعادت ملامح كاوري جدّيةً وقالت: "ولكن في البدء يجب أن تخبرينا عن هويّتك الحقيقيّة هل اسمك ريني؟"، وتبادلت النّظرات مع جين.

التفتّ إلى جين التي ما زالت تحمل حقيبتي، فوقفت وقفة شموخٍ، وأخذتها منها ووضعتها على كتفي وقلت: "لا، بل اسمي فالنسيا سومرسيت" والذي يشبه صرخة حرب.

35
ف. س

تعلم كاوري تمامًا أنّ هذه هي المرّة الأولى التي تسمع فيها اسم فالنسيا سومرسيت، ولكنّه بدا مألوفًا جدًّا، يشبه ذلك الحال التي يشعر فيها المرء بأنّه شهد الحدث نفسه سابقًا. انتابها شعورٌ بأنّ اسم فالنسيا سومرسيت مهمّ، وأنّ عليها التّركيز أكثر في الأمر، عضّت على شفتيها، وبحثت عن الإجابة، ولكنّها عجزت عن الوصول إلى شيء. وشعرت أنّها قاب قوسين من أن تعرف ما تجهله.

فالنسيا سومرسيت.

وقفت فالنسيا شامخةً وفخورةً عندما أعلنت عن اسمها الحقيقيّ. لقد أحبّت كاوري اسمها، فهي تعتقد أنه من الضروري أن يستمد المرء قوّته من اسمه.

قالت: "يجب أن نتابع البحث عن الحجر إذ مضت ساعاتٌ على فقدان فيرجيل، هيّا بنا".

أشرق وجه جين فجأةً وقالت مشيرةً إلى الكيس القماشيّ الذي حملته فالنسيا بإبهامها وسبابتها: "ربّما لا نحتاج إلى البحث عن حجر جلد الأفعى في ظلّ وجود عضة أفعى حقيقيّة، لعلّها ليست حقيقيّةً تمامًا، ولكننا نملك لعاب الأفعى على الأقلّ. يجب أن يفيدنا ذلك في شيءٍ ما"، ونظرت إلى كاوري منتظرة ردّها.

فكّرت كاوري قليلًا. لعلّ جين محقّة، إذ يجب أن يكون لعاب أفعى حقيقيّة أفضل من مجرّد حجر، أليس كذلك؟ هذا منطقيّ.

سألت كاوري فالنسيا: "ما رأيك؟".

لم يسبق أن طلبت كاوري رأي أحد سواء في حياتها الحاليّة أو السابقة، ولكنها وجدت في شراكتهما المهنيّة فرصةً مناسبةً لتبادل الأفكار نظرًا إلى أهمّية التّعاون في تسيير العمل.

أومأت فالنسيا: "يبدو ذلك منطقيًّا".

قاطعهنّ مجدّدًا اهتزاز هاتف فالنسيا الذي كان عاليًا إلى درجة ظنت فيه كاوري أن هاتفها هو الذي يهتز.

قرأت فالنسيا الرّسالة وقالت: "يا إلهي، إنّها والدتي وتريد أن تعرف أين أنا"، تململت كما لو أنّ والدتها فرضت عليها ستّ ساعاتٍ من الواجبات المنزليّة، وتدلّى الكيس إلى جانبها. تذكّرت كاوري بعد رؤيتها هيئة فالنسيا الحاليّة أولئك الذين شاهدتهم في صور كتب التّاريخ، والذين يستعملون راياتٍ بيضاء من أجل إعلان استسلامهم.

سألتها جين: "هل يجب أن تعودي إلى المنزل؟"، وقد أثقلتها خيبة الأمل.

أجابت فالنسيا: "أظن ذلك".

كادت كاوري أن تقول إنّ الطّقس سيستغرق وقتًا قصيرًا، وربّما تستطيع فالنسيا قضاء خمس عشرة دقيقة إضافيّة قبل عودتها. ولكن نغمة أجراس المعبد البوذيّ قاطعتها، فأخرجت هاتفها كي تقرأ الرّسالة. لقد كانت والدتها أيضًا، يبدو أن تصرفات الأهل متشابهة.

أخبرت كاوري أختها: "إنّها السّيدة تاناكا".

لكن والدة كاوري سألتها شيئًا مختلفًا. سألتها عن مكانهما أو موعد عودتهما إلى المنزل: هل رأيت فيرجيل ساليانس اليوم أو تحدّثت إليه؟

خفق قلب كاوري بشدّة، إذ يخفي سؤال والدتها سؤالًا سابقًا من والديّ كاوري أو أخويه أو لولا. ويعني ذلك أنّهم يجهلون مكانه، وبالتّالي يواجهون حالة طوارئ فائقة الخطورة.

أجابتها كاوري:

لا، كان يفترض بي أن أراه عند السّاعة الحادية عشرة، ولكنّه تخلّف عن الموعد.

وأخذت تكتب تفاصيل أكثر عن رحلة البحث وإجرائهنّ طقسًا من أجل إيجاده وغيرها من الأمور. ولكنّها أدركت أنّ السّيدة تاناكا ستطلب حينها عودتهما إلى المنزل مباشرةً، فمسحت كاوري كلماتها الأخيرة، وأرسلت الرّسالة وانتظرت ردّ والدتها.

قالت كاوري غاضبةً: "لقد سألتني إن كنت أعرف مكان فيرجيل".

هناك مشكلة.

يبدو أن الوضع خطير حقًّا.

التفتت إلى جين وقالت: "يعني ذلك أنّ والديه يبحثان عنه ولا يحتجزانه في المنزل كما اعتقدنا، وهذا ما تبين عندما ذهبت ريني... أقصد فالنسيا إلى منزلهم".

عبست جين، وخيّم الصّمت عليهن قبل أن يشرق وجه جين كما في المرّة السّابقة.

قالت: "لعلّه خرج برفقة ف. س، وهربا معًا كما في الأفلام".

قالت كاوري: "هذا مستحيل، إذ بالكاد لفظ حرفي اسمها الأولين البارحة من دون أن يتلعثم".

أجابت جين في الوقت الذي كانت فيه كاوري تكتب رسالةً على هاتفها: "بل هو ممكن. لعلّه أرسل رسالةً نصّيةً إليها في الليل أو في هذا الصباح وخرجا يتنزّهان معًا، وهما يتناولان الآن الفشار ويشاهدان الأفلام معًا، فيرجيل وف. س فقط".

قالت كاوري: "أنت تكثرين من مشاهدة التّلفاز، فمن المستحيل أن يهرب مع ف. س فهذا غير...".

توقّفت كاوري عن الكلام فجأةً.

سألت جين: "ما الأمر؟".

في تلك اللّحظة فهمت كاوري السّبب الذي جعل اسم فالنسيا مألوفًا ومهمًّا.

فالنسيا سومرسيت.

لمست كاوري ذراع فالنسيا، وسألتها عندما التفتت إليها: "ما هو برجك؟".

وضعت فالنسيا هاتفها في جيبها ورفعت حاجبيها متسائلةً: "لماذا؟".

قالت كاوري: "أخبريني فحسب، هل أنت من مواليد برج العقرب؟".

تردّدت فالنسيا وقالت: "أجل، ولكن كيف عرفتِ ذلك؟".

تابعت كاوري: "وهل ترتادين غرفة المصادر في المدرسة أيّام الخميس؟".

هزّت فالنسيا رأسها وقد حارت في أمرها وقالت: "أجل، لماذا؟".

قفزت جين ثلاث مرّات في مكانها وقالت: "يا إلهي إنّها ف. س يا كاوري! إنّها ف. س".

قالت كاوري بجدّية: "أجل، إنّها ف. س".

سألت فالنسيا محتارةً: "ماذا يجري؟ لا أفهم ما تقولانه".

وقفت كاوري سريعًا إلى جوار أختها، ووضعت يدها على فمها وقالت: "لا نستطيع إخبارك".

سألت فالنسيا: "لماذا؟".

أجابت كاوري: "لا نستطيع فحسب".

قالت فالنسيا: "لم تقنعني إجابتك، يبدو جليًا أن للأمر علاقة بي ومن حقي أن أعرف ما يجري. أخبريني يا جين، ما الأمر؟".

قالت كاوري: "لا نستطيع إخبارك لأنّ ذلك يتعارض مع القدر"، وأبقت يدها على فم جين.

شعرت فالنسيا أنّها تريد الضحك.

قالت كاوري: "أنا جدّيةٌ، لقد أدى القدر دورًا كبيرًا في أحداث اليوم حتّى هذه اللّحظة، وقد أصبحت الصّورة واضحةً أمامي تمامًا".

قالت فالنسيا: "هيّا أخبريني".

تابعت كاوري: "ستفهمين كلّ شيءٍ عندما نعثر على فيرجيل".

شعرت كاوري بحماسة جين التي حركت شفتيها تحت راحة يدها، إذ كانت مستعدّةً من أجل الانفجار في أيّ لحظة.

وضعت فالنسيا يديها على وركيها وقالت: "لن أساعدكما حتّى تخبراني".

قالت كاوري: "ماذا لو كانت حياته في خطر؟ هل ستسمحين بذلك لأنني أخفيت عنك شيئًا ما؟".

هدأت ملامح فالنسيا، وأنزلت ذراعيها على جانبيها وقالت: "أعتقد أنّك محقّة، ولكن عديني أن تخبريني الحقيقة فور العثور عليه"، ووجّهت إصبعها ناحية كاوري.

أزاحت كاوري يدها عن فم جين، ووضعتها على صدرها فوق قلبها وقالت: "أعدك أنّك ستفهمين كلّ شيءٍ فور العثور عليه".

قالت جين: "*إن عثرنا عليه*".

صحّحت كاوري كلامها: "*عندما* نعثر عليه يا جين، وليس *إن* عثرنا عليه".

ربّما

سيطر الخوف عليه، فضلًا عن الجوع والعطش، ولكن التّعب الذي نال منه احتلّ المرتبة الأولى. لقد اكتشف أنّه محقّ منذ البداية حيال عدم جدوى الصّراخ من أجل طلب المساعدة؛ إذ يعجز أحدٌ عن سماعه، ولن يأتي أحدٌ من أجل إنقاذه. استنزفت ساعات الخوف طاقته، وأصبح منهكًا ولم يعد قادرًا على التفكير بباه أيضًا.

تذكّر قول روبي: "*دائمًا تجنب السؤال عن جدوى شيءٍ في حياتك، لأنّه أسوأ الأسئلة في العالم*".

ولكن ما أدراها روبي؟

احتضن حقيبته بقوّةٍ، مدركًا أن نهايته ونهاية جوليفير أصبحت وشيكة، وقرّر أخذ قيلولةٍ، ولم يفكر بالفشل الذي كان رفيقه الدائم خلال حياته، فقرّر تخيّل الإنسان الذي سيكون عليه في حال نجا من هذه المصيبة.

أوّلًا: سيواجه والدته ويقول: "لا أريد أن يناديني أحد بعد الآن بالسّلحفاة"، وستوافق على ذلك، وسيكون اسمه فيرجيل، أو فيرجيلو أو أيّ اسمٍ آخر قد يطلقه عليه أفراد أسرته، مثل بایاني.

ثانيًا: سيواجه الثّور في حال ناداه بالمتخلّف، وسيقول له بصوت مفعم بالثقة: "إيّاك أن تناديني بالمتخلف مجددًا وإلّا ستندم كثيرًا"، وهو يعني كل كلمة يقولها. وإن اقتضى الأم سيتعارك وإياه، وربما لن يحتاج إلى ذلك إذا أدرك الثّور جدية تهديداته ولم يتحدّه.

ثالثًا (والأهمّ): سيتحدّث إلى فالنسيا حتّى وإن لم يقل لها أكثر من كلمة "مرحبًا"، فهو لا يحتاج إلى أكثر من كلمة واحدة لينطلق قطار صداقتهما في رحلته، أليس كذلك؟ ستغيّر تلك الكلمة حياته.

لقد قالها حينها أيضًا بصوته المنهك: "مرحبًا، مرحبًا، مرحبًا"، الذي بدا مكتومًا ومكروبًا، كما هي حال كلّ شيءٍ في قاع البئر.

خاطب فيرجيل الفراغ قائلًا: "أنا متعب، وسأخلد إلى النّوم، ولا أكترث إن التهمني باه... هل تسمعني؟ تستطيع أن تلتهمني، ولكن دعْ جوليفير حيًّا. سأخلد إلى النّوم".

ذات مرة، أخبرته لولا أنه قد يتغير في فترة وجيزة لا تزيد عن رمشة عينٍ، وفكّر أنه عندما يستيقظ سيجد نفسه في المنزل مجدّدًا، وسينهض مباشرةً من أجل تنفيذ القرارات الثلاثة التي اتخذها. ربّما سيكون مستلقيًا في سريره الدّافئ منصتًا إلى صوت جوليفير وهو يشرب المياه.

ربّما.

37
فالنسيا

يجب أن يتجنّب المرء إشعال النّار في الغابة خصوصًا إن مضت أيام على المرة الأخيرة التي أمطرت فيها. ولكننا نقف الآن وسط منطقةٍ خاليةٍ، وقد أصرت كاوري على أنّ إشعال الشّمعة ضروريّ من أجل الطّقس، بالإضافة إلى رسم دائرةٍ في التّراب حول كيس تشيت المبلل بلعاب الأفعى، وقد أسعدني ذلك لأنني سأتخلّص منه أخيرًا.

ما زالت الشّمعة مطفأةً، ولكن جين حضّرت عيدان الثّقاب، وبدت متحمّسةً جدًّا كي تستعملها.

قالت كاوري: "يجب أن نتلو النّشيد في البداية، ثمّ نشعل الشّمعة".

سألت: "وما هو النّشيد؟".

اهتزّ هاتفي في جيبي مجدّدًا، ولكنني تجاهلته، إذ ما الضّرر في تأخّري عن المنزل قليلًا؟ فضلًا عن أنّنا في خضم طقسٍ مهمّ من أجل مساعدة كاوري على إيجاد صديقها، ولا أظن أمي ستتفهّم الأمر.

أغمضت كاوري عينيها وقالت ببطءٍ ووقار: "سنتلوه هكذا؛ أرشدنا يا سيّد المفقودات إلى وجهتنا، ساعدنا وحقّق أمنيتنا".

انتظرت سماع المزيد.

سألتها جين: "هل هذا كلّ شيء؟".

قالت كاوري: "سنضيء الشّمعة وننتظر".

سألت: "ننتظر ماذا؟".

قالت كاوري: "وصول الإجابة".

يجب أن أعترف أنني أرى هذا الأمر سخيفًا وغريبًا، ولا أعتقد أنني أؤمن بشيء كهذا، ولكنني أودّ مشاركة كاوري في عملها، وأعتقد أنّنا نستطيع فعل شيءٍ ما معًا. قرّرت مناقشة الأمر معها في وقت لاحق بعد الانتهاء من هذا الطّقس.

سألت كاوري: "هل أنتما جاهزتان، يجب أن نتلو النّشيد معًا".

وقفنا بثبات.

كررّت كاوري النّشيد، وتلوناه بعدها.

أشعلت جين عود ثقاب.

لم يخطر في بالي أنّنا سنفتعل حريقًا عندما طلبت من كاوري أن نتجنّب إشعال الشّمعة في الغابة، وهذا ما حدث تمامًا، إذ أشعلت جين عود الثّقاب بقوّةٍ فأفلت من يدها وسقط خارج الدّائرة على بعض الأوراق الجافّة فاندلعت فيها النار مباشرةً، ولكن النار لم تكن كبيرة مثل نيران حرائق الغابات، بل مثل نار موقد المطبخ، إذ لم تستدع الخوف أو الصّراخ، ولكن أطلقت جين العنان لنفسها دون توقّف. دست وكاوري على النّار فأطفأناها، وأحببت فكرة مصادقة شخصٍ لا يخاف الدوس على ألسنة اللّهب.

انطفأت النّار، ولكن جين استمرّت في الصّراخ، نظرت إليها وأدركت أنّها خائفة من شيءٍ آخر وأشارت إلى الخلف فاستدرت كي أرى ما الأمر.

إنّه ساكرد.

هرول ناحيتنا وكأنّه في مهمّةٍ، واقترب منّي ووقف على قائمتيه الخلفيّتين ونبح مرّةً واحدةً. بدا أنّه يريد التّأكّد من أنّ كلّ شيءٍ بخير، إذ تملك الكلاب طريقتها الخاصّة في اكتشاف إن كنت في

ورطة.

فاحت في الجوّ رائحة الورق المحترق.

قلت: "هذا ساكرد، إنّه كلبٌ لطيفٌ وغير مؤذٍ وأنا أعتني به في بعض الأحيان، وهو يعيش في الغابة".

احتضنت كاوري أختها الصّغيرة، ولكن جين أفلتت وبدا فجأة أنها لم تعد خائفة، وأخذت تحكّ أذني ساكرد.

التفتت كاوري إلى بقايا النّار وقالت: "ماذا سنفعل الآن؟ أعتقد أنّنا أفسدنا الطّقس".

اهتزّ هاتفي قبل أن أبدأ الكلام، وارتأيت أن أتفقّد الرّسائل وأنتهي منها، إذ أفقدني الاهتزاز المتكرّر أعصابي.

رأيت على شاشة الهاتف رسائل لا تُحصى من والدتي، إضافةً إلى رسالتين واردتين من رقمٍ غريب لا أعرفه:

مرحبًا يا فالنسيا الإسبانيّة.

هل رأيت عزيزي فيرجيلو؟

أدركت مباشرةً أنّها من لولا. تعمل عقولنا بطريقة مضحكة، إذ عجزت عن ملاحظة الأدلّة حولنا، والتي تقودنا

إلى فيرجيل، حتّى رأيت الرّسالة النّصّية. شعرت كأنّ شيئًا أو شخصًا قد أنار بصيرتي فجأةً، وأعتقد أنّه القدّيس رين، فاجتمعت أجزاء الأحجية في رأسي واحدةً تلو الأخرى.

يمرّ الطّريق الذي سلكناه من منزل كاوري إلى منزل فيرجيل عبر الغابة مباشرةً، ولا بدّ أنّه سلكه عندما خرج من أجل موعده مع كاوري، أليس كذلك؟

قال تشيت: "*لقد قضيت اليوم كاملًا أبحث عن الأفاعي، إذ هذا ما أفعله*"، فنجد أنّ الاثنين كانا في الغابة في الوقت نفسه. واظب تشيت على افتعال تعابير غبيّة على وجهه في كلّ مرّةٍ يراني فيها، وسخر من ديفيد كيستلر في حصّة العلوم يوميًّا، لقد كان ولدًا متنمّرًا.

تذكّرت بعدها مجموعة الحجارة التي وجدتها هذا الصّباح، وقد قالت جين شيئًا مثل: "*الحجارة التي طلبت من فيرجيل إحضارها؟*".

لقد رميت تلك الحجارة في البئر واحدًا تلو الآخر.

قال تشيت: "*لقد لويت عنقه وألقيته في تلك البئر القديمة*".

تساءلت بشأن غطاء البئر المفتوح، إذ كان مغلقًا دومًا، فأعدت إغلاقه كي أحمي السّناجب من السّقوط هناك.

تجمّد الهواء في صدري.

التفتت إلى كاوري ببطءٍ ورسالة لولا أمامي وساكرد يدفع يدي وقلت: "أنا أعرف مكان فيرجيل".

38
الضّوء

"يتغيّر العالم خلال رفّة عينٍ يا فيرجيلو، وتختلف معتقداتك بين ليلةٍ وضحاها، إنّها خدعة الزّمن. تتغيّر الأشياء عندما تغمض عينك، وتجد أمامك عندما تفتحهما...".

الضّوء.

هل هذا ضوء؟

استغرق فيرجيل في النّوم الذي اعتقد أنّه مستحيلٌ في ظلّ وجود خطرٍ يهدّد الحياة، ولكن النّعاس نال منه فوضع جوليفير بالقرب منه، وحاك من بكائه وخوفه ووحدته بطّانيّةً كبيرةً وثقيلةً، ولفّها حوله فساعدته على الاسترخاء. ولكن الظّلام انجلى أمام أجفانه وحلّ الضّوء محلّه، يشبه الأمر إشعال والده مصباح الغرفة من أجل إيقاظه في الصّباح كي يذهب إلى المدرسة. تناوب الظّلام والضّوء أمامه.

هل يوجد ضوءٌ حقًّا؟

وضجيجٌ في الأعلى؟

وأشخاصٌ ينادون باسمه؟

بدا أنّ شخصًا أو بضعة أشخاصٍ ينادونه.

هل يسمع نباح كلبٍ أيضًا؟ هذا غير منطقيّ.

رفض فتح عينيه كي يتجنّب اكتشاف أن كلّ ذلك مجرد حلمٍ، أو خدعة، أو أنّه ميّتٌ. سيستحيل كلّ شيءٍ رمادًا إن فتح عينيه، وسيختفي صوت كاوري وجين اللّتين تناديان باسمه برفقة فتاةٍ أخرى على الأرجح، والتي بدا صوتها مألوفًا. ولكن يستحيل أن تكون فالنسيا، وهذا ما أكّد أنّ الأمر خدعة، إذ إنّ وجودها معهما غير منطقيّ أبدًا فهن لا يعرفن بعضهن.

تأكّد فيرجيل أنّه ميت، وأنّ عمليّة إنقاذه قد فشلت.

نادت الأصوات اسمه مجدّدًا.

قالت جين: "أعتقد أنني أراه، ولكنني غير واثقةٍ من ذلك فالظّلام دامسٌ تمامًا في الأسفل".

فتح فيرجيل عينيه.

رأى الضّوء، وظلّ ثلاثة رؤوسٍ تنظر إلى الأسفل، وميّز رأس كاوري عندما نظر إلى شعرها.

أغمض عينيه وفتحهما بضع مراتٍ.

قال: "مرحبًا؟"، وقد كان صوته ضعيفًا وأجشّ.

قالت روبي: "ارفع صوتك عاليًا يا بایاني".

صاح فيرجيل: "مرحبًا، مرحبًا".

صاحت جين: "إنّه في الأسفل، إنّه في الأسفل"، وحمل صوتها إلى البئر ضوءًا من نوعٍ آخر.

صاحت كاوري: "أنا كاوري يا فيرجيل، وقد جئنا كي ننقذك".

قال فيرجيل: "هذا جيّد".

أراد قول أشياء أكثر بكثيرٍ، ولكنه عجز عن قول أي شيء سوى هاتين الكلمتين.

نهض ووخزته ساقاه لأنهما مخدّرتان قليلًا، وتفقّد جوليفير الذي حيّاه عن طريق حركة شاربه.

قال له: "سينقذوننا".

سقسق جوليفير، ونقل فيرجيل الحقيبة من بطنه إلى ظهره.

صاحت كاوري: "أنا برفقة جين وفالنسيا".

أثارت طريقة كلام كاوري بحرًا من التّساؤلات في ذهن فيرجيل، هل تعرف كاوري فالنسيا؟ ولكن كيف التقتا؟ وكيف وجدتها كاوري؟ وهل أخبرتها شيئًا؟

شعر فيرجيل على الفور بالحرج، ولكن هذا لا يهمّ الآن، إذ احتاج أولًا أن يخرج من البئر ثمّ يمكنه أن يُحرج كما يشاء.

صاحت كاوري: "لماذا لا تصعد السّلّم؟ كيف علقت هناك؟".

صاح فيرجيل: "يفتقد السّلّم درجاته الأخيرة، وأعجز عن الوصول إليه من هنا".

تبادلت الرّؤوسٌ الثّلاثة النّظرات ودار نقاشٌ بينها.

أطلعته جين على المستجدّات: "نحن نحاول إيجاد أفضل طريقةٍ لإنقاذك يا فيرجيل".

استمرّ النّقاش وقتًا غير قصير قبل أن يسمع كلام جين: "مهلًا لحظة، دعونا نستعمل هذا".

عجز فيرجيل عن معرفة ماهيّة "هذا" الذي تحدّثن عنه، ولكن لا يهمّ طالما أنّه سيساعد على إنقاذه.

قالت فالنسيا: "هذه فكرةٌ رائعة، سأنزل أنا".

أجفل فيرجيل. إنّ فالنسيا برفقة كاوري وجين.

هل يمكن أن يكون هذا بتأثير الحجارة الخمسة مختلفة الأحجام؟ أم أنّها مجرّد صدفة؟

"*لا توجد صدفٌ في هذا العالم*".

نزلت إحداهنّ السّلّم حاملةً شيئًا في يدها، لعلّه حبلٌ على الأرجح، ولكن كيف وجدن حبلًا؟

نزلت فالنسيا السّلّم بشكل أسرع مما فعل هو، ولكن ببطءٍ كافٍ كي تنتبه إلى خطواتها.

أراد إخبارها أن تأخذ حذرها جيّدًا.

تسارعت ضربات قلبه.

وصلت فالنسيا إلى الدّرجة الأخيرة، وألقت طرف الحبل إليه وقالت: "أمسكه وسأربط الطرف الآخر إلى السّلّم، وتستطيع بذلك سحب نفسك إلى الأعلى مثل متسلّقي الجبال".

حجب الظّلام وجهها عن فيرجيل، وهذا يعني أيضًا أنّها لم ترَه أيضًا، وقد أسعده ذلك.

أمسك طرف الحبل، ووجد أنّه حبل قفز.

صاحت جين فخورةً: "إنّ هذا الحبل لي يا فيرجيل، وقد أحضرته معي قبل الخروج من المنزل، أليس الحظّ حليفنا؟".

فكّر فيرجيل في نفسه: "*أجل، أنا محظوظٌ جدًّا*".

39
فالنسيا

يصعب أن تنكر وجود الصُدف عندما تشاهد فتىً يتسلّق خارج بئرٍ بواسطة حبل قفزٍ.

فتح فيرجيل حقيبته مباشرةً بعد خروجه، ورأيت خنزيره الغينيّ فيها، اقتربت كي ألقي نظرةً، وأبعدت ساكرد لعل فيرجيل يرفض وجوده بالقرب من حيوان أليف، وكأن ساكرد سيعضه، ولكنني لا أريد له حتّى أن يفكّر في الأمر.

تجمّد فيرجيل في مكانه كالصّنم، وأمطرته كاوري وجين بوابلٍ من الأسئلة في الوقت نفسه. عجزت عن فهم كلماتهما كلّها، ولكنني أعلم أنهما تسألانه إن كان بخيرٍ، أو تأذّى، أو إن كان يحتاج أيّ شيءٍ. وجدت أنّه حيّ ويتنفّس رغم التزامه الصّمت نسبيًّا.

قلت: "سبق لي أن امتلكت خنزيرًا غينيًّا".

توقّفت جين وكاوري عن الكلام، وانتظرنا إجابة فيرجيل، وركّزت في تعابير وجهه كي أفهم كلماته، ولكنه لم يقل شيئًا. اعتلت نظرةٌ غريبةٌ وجهه، حيث شعرت أنني أوجّه مصباحًا إلى عينيه. وقف على كلّ من قدميه على حدة ثمّ التفت إلى كاوري. أفترض عادةً في هذه الحال أنّ الطّرف الآخر يتجاهلني، ولكن لا يبدو فيرجيل من ذلك النّوع من النّاس.

لعلّه يعاني من الصدمة بعد السّاعات التي أمضاها في الأسفل. أعجز عن تخيّل نفسي محتجزةً في مكان مثل البئر ولا يوجد شيء لأكتشفه. ولكنّه ليس في حال سيّئةٍ إجمالًا، وبدا الفتى نفسه من غرفة المصادر، عدا عن أنّ عينيه حمراوان ومتورمتان من البكاء على الأرجح، وثيابه متّسخة.

التفتُّ إلى جين وبالكاد سمعته يقول لها: "سأشتري حبلًا جديدًا من أجلك".

نظرت كاوري بالتناوب إليّ وإلى فيرجيل، وذكّرني ذلك بالطريقة التي ينظر فيها المدرّسون عند انتظارهم من الطّلّاب الإجابة عن سؤالهم.

قالت جين: "من يهتمّ بشأن حبل قفزٍ قديمٍ؟ أخبرنا كلّ شيء، كيف وصلت إلى هنا؟ وماذا حدث؟ وماذا فعلت طيلة الوقت؟ وماذا فعل جوليفير؟ وهل كنت خائفًا؟ وهل اعتقدت أنّك ستموت؟ وفي حال بقيت في الأسفل ما هو الوقت الذي كنت ستصمد فيه؟".

قالت كاوري: "أخبريني الحقيقة يا جين، هل يمكنك التّوقّف عن طرح الأسئلة؟".

أجابتها جين: "لقد سألتني سؤالًا بدورك".

نظر فيرجيل إليّ، ورأيت بقعةً حمراء على عنقه تمتد إلى وجهه وكأنّ أحدًا كان يطليه من الأسفل إلى أعلى.

نظر إلى كاوري مجدّدًا، وزاد ذلك صعوبة فهمي كلماته لأنّه لا ينظر إليّ: "لقد علق جوليفير هناك، فتبعته كي أنقذه".

نظرت إلى كاوري وقلت: "جوليفير؟"، كي أتأكّد أنني سمعت الكلمة جيّدًا.

قالت كاوري: "إنّه اسم خنزيره الغينيّ".

قلت: "كان اسم خنزيري الغينيّ ليليبوت".

أدركت من ملامح وجهه أنّه تعرّف إلى الاسم، وبالتّالي يعرف القصّة أيضًا، ولكنّه التزم الصّمت مجدّدًا، وكأنّ أحدًا أغلق فمه.

نظرت كاوري إليّ كي تتأكّد أنني أفهم كلامها وقالت: "هل تعرف فالنسيا يا فيرجيل؟ فالنسيا سومرسيت؟ أنت تعرفها أليس كذلك؟".

بدت طريقة كلامها غريبةً، وكأنّها تمنح فيرجيل دليلًا ما، ولكن ما هو؟

أومأ فيرجيل.

وقفنا جميعًا هناك.

كسرت الصّمت قائلةً: "إنّ ليليبوت اسم جزيرةٍ في قصّة *رحلات جوليفير*، أليست هذه صدفة؟".

تبادلت كاوري وجين النظرات، وأوشكتا أن تقولا شيئًا قبل أن أقاطعهما وأؤكد على عدم وجود صدفٍ في هذا العالم.

اهتزّ هاتفي، ورأيت رسالةً من والدتي التي بدت غير سعيدة.

أنا قلقةٌ عليكِ. أين أنتِ؟ عودي إلى المنزل الآن.

لا يبدو الأمر جيّدًا.

تنهّدت وقلت: "يجب أن أذهب سريعًا، فوالدتي قلقةٌ جدًّا عليّ".

دفعت كاوري كتف فيرجيل بقوّة، ودار ساكرد حولنا يترقّب حدوث أمرٍ ما، ثمّ وقف إلى جوار فيرجيل، وهزّ ذيله بكسل.

شعرت بأن كاوري تقول: "لقد أخرجتك الفتاة من البئر، ألن تشكرها على الأقل؟".

ولكنني لم أجد ضيرًا في سكوته، إن بعض النّاس خجولون فحسب، ولا يعني ذلك افتقارهم للأخلاق. أعلم ماهيّة وجود أشخاصٍ حولك في انتظار أن تقول شيئًا حتّى وإن كنت تجهل الكلمات الصّحيحة التي يجب استعمالها، يشبه ذلك عندما ينسى النّاس التّعليمات الثّلاث خاصّتي.

لكن كاوري أصرّت على فيرجيل ورفعت حاجبيها وحرّكت رأسها كي تحثّه على الكلام.

نظر فيرجيل إلى قدميه، وأعتقد أنّه حرّك فمه، ولكنني عجزت عن فهم ما يقول، ولكن لا وقت كي أكتشف ذلك، فوالدتي ستجنّ في حال لم أصل إلى المنزل باكرًا.

وعدت كاوري أن أتحدث إليها بخصوص تاناكا وسومرسيت، ثمّ لوّحت وقلت: "أراكم لاحقًا".

أحبطني هذا الوداع بعد يومنا الشّيق، ولكن في بعض الأحيان تجري الرّياح بما لا تشتهي السّفن.

40
ميؤوسٌ منك يا فيرجيل ساليانس

شكلت أحداث اليوم حملًا ثقيلًا على كاهل كاوري. جمع الكون الكبير الغامض المتقلّب أصغر التّفاصيل وحبكها معًا (وأكّدت كاوري حدوث ذلك بفضل تأثيرها)، ومع ذلك عجز فيرجيل عن قول كلمتين.

قالت كاوري: "ما كان ذلك؟ أقصد... ما كان ذلك فحسب؟ إنّها ف. س وتجنّبت الكلام معها".

احمرّ وجه فيرجيل تمامًا الآن، ووضع يده على رأس ساكرد ومسح فراءه.

قال فيرجيل: "ماذا تقصدين؟".

لوّحت كاوري في الاتّجاه الذي ذهبت فيه فالنسيا وأطلقت تنهيدةً قويّةً معبّرةً عن استيائها الشّديد.

قالت: "لقد امتلكت فرصةً ذهبيّةً وأضعتها من بين يديك، لقد أنقذتك من البئر...".

قالت جين: "مهلًا، أنا من اقترح فكرة استعمال الحبل".

تابعت كاوري: "وأنت اكتفيت بالوقوف أمامها، لقد اعتقدت أنّها فتاة أحلامك، وقد قُدّر لكما أن تكونا صديقين".

غدا وجه فيرجيل كالفراولة النّاضجة وقال: "ماذا تقصدين، لقد التقيتها للتّو"، وبدا كلامه غير مقنعٍ.

عقدت كاوري ذراعيها، وكذلك جين.

قالت كاوري: "أعلم متى يكذب النّاس عليّ يا فيرجيل ساليانس، وأنت رسميًّا أسوأ كاذبٍ في الكون، وهذا محزنٌ حقًّا لأنّ *الكون* نفسه حاول مساعدتك والتّصرّف بدلًا منك.

تبادل ساكرد وفيرجيل النّظرات.

قال فيرجيل: "لا يفعل الكون شيئًا يا كاوري، إن كان كلامك صحيحًا، فـ...".

وتوقّف عن المتابعة.

قالت كاوري: "ماذا؟".

أجاب فيرجيل: "لا شيء".

قالت كاوري: "كيف تفسّر ما حدث اليوم في غياب تدخّل الكون؟ بدءًا من حقيقة قدوم ف. س إليّ وقت اختفائك تمامًا، ومعرفتنا بطريقةٍ ما مكانك، وامتلاك جين حبل القفز"، وعدّت هذه الأشياء على أصابعها.

دعمتها جين قائلةً: "أجل، ما تفسيرك لذلك؟".

تابعت كاوري: "ناهيك عن امتلاكها خنزيرًا غينيًّا في السّابق والذي حمل اسمًا يشبه اسم خنزيرك".

قال فيرجيل: "هذا غير صحيح، فاسم خنزيرها ليليبوت".

قالت كاوري: "إنّهما من القصّة ذاتها"، وأوشكت أن تتابع قبل أن تقاطعها رسالةٌ نصّيةٌ من والدتها تطلب فيها أن تعود إلى المنزل لتناول العشاء.

نظر فيرجيل إلى الكلب وقال: "أجد كلّ هذه الأمور يا كاوري مجرّد...".

قالت كاوري: "لا تقلها".

تابع فيرجيل: "مجرّد...".

قالت جين: "لا تقل ذلك".

أنهى فيرجيل جملته قائلًا: "... صدفة".

أمسكت كاوري رأسها بين يديها وقالت: "أنت شخصٌ ميؤوسٌ منه يا فيرجيل ساليانس نظرًا إلى معتقداتك هذه... هيّا بنا يا جين، لقد أعدّت السّيدة تاناكا شرائح الدّجاج".

41
نمر شارع إلمالقسم الثّاني

لقد احتاج أن يقول كلمتين فقط: "شكرًا لك". أخرجته فالنسيا سومرسيت من البئر، وهو لم يشكرها ولم ينبس ببنت شفة حتّى أنّه لم يقل مرحبًا. ما صعوبة أن يفتح فمه ويتحدّث؟ ولماذا يجب أن يكون... على هيئته؟

تمتم إلى نفسه: "مرحبًا يا فالنسيا، شكرًا لك، لقد أنقذت حياتي، وأنا مدينٌ لك"، ومشى في شارع إلم رفقة ساكرد الذي لازمه وكأنّه مقيّدٌ إلى حبلٍ خفيّ بينهما.

آلمه جسده بالكامل، وعصر الجوع معدته الفارغة، وسيطر صداعٌ نابضٌ على رأسه، لقد كان متسّخًا ومصابًا، وأوشك على الموت اليوم، وعجز عن قول عبارة "شكرًا لك"، أو "مرحبًا" على الأقلّ.

أصدرت قوائم ساكرد صوتًا على حجارة الرّصيف خلال سيرهما، وأدرك فيرجيل كالعادة أنّه يقترب من منزل أسرة بولينس، ولكن الإرهاق منعه عن الاكتراث إزاء مواجهة الثّور وجهًا لوجه، إذ بدا ذلك عاديًّا، بل مملّ مقارنةً بمواجهة الموت.

يجلس الثور وسط مدخل منزله وكرة السّلة في حضنه وهو يُحدق إلى السّلة وكأنّها تبعد ملايين الأميال عنه، وفكّر فيرجيل إن كان القدر يختبره، أمّ أنّ هذا اللّقاء مجرّد نتاجٍ عن حظّ أمسيات السّبت المعتاد.

قال تشيت عندما رآه: "مرحبًا أيّها المتخلّف"، ولكنه أجفل قليلًا بعد رؤيته ساكرد.

تجنّب فيرجيل طأطأة رأسه كما اعتاد أن يفعل، أو حبس أنفاسه وتجاوز المنزل حتّى يصل إلى برّ الأمان، إذ نال التّعب والضّجر منه، ولم يكن اليوم مناسبًا من أجل العبث مع فيرجيل ساليانس.

ليس بعد الآن.

نظر فيرجيل إلى عيني تشيت مباشرةً، وتوقّف عن السّير قبل أن يدرك ما يفعل.

توقّف ساكرد أيضًا.

انكمش الثّور على نفسه، ولفّ ذراعيه حول كرته ونقل ناظريه بين ساكرد وفيرجيل.

قال تشيت: "ما الذي تنظر إليه أيّها المتخلّف؟".

ما تلك الرّعشة في صوته؟

تدلّت ذراعا فيرجيل إلى جانبيه ودفع ساكرد يده.

قال فيرجيل: "نادني بالمتخلّف مجدّدًا، وستندم على ذلك".

تلاشت ابتسامة الثّور المتردّدة، وأجفل من الخوف.

قال الثّور: "أيًّا يكن".

تذكّر فيرجيل قول روبي: "*لا تحتاج سوى بضع كلماتٍ كي تقلب حياتك رأسًا على عقب*".

وصل فيرجيل إلى المنزل ووجد لولا في انتظاره، وبدأت الكلام قبل أن يصل إلى حيث يمكنه سماعها.

قالت لولا: "يا إلهي، حاولت مرارًا وتكرارًا الاتّصال أو إرسال الرّسائل إليك، أين كنت؟ وماذا يفعل هذا الكلب معك؟ ولماذا لم تجب على...".

رأت لولا مع اقترابه ملابسه الرثّة، وشعره الأشعث، وعلامات التّعرّق والتّعب عليه، وعيناه المتورّمتين، والتّراب والصّدأ على يديه من السّلّم، فضلًا عن تلك النّظرة التي اعتلت وجهه والتي لفتت انتباه لولا بعد تفحّصها ملابسه وشعره، فقالت بهدوءٍ: "ماذا جرى معك اليوم يا فيرجيلو؟".

قال فيرجيل: "لقد التهمتني البئر كما في قصّة ولد الصّخرة، ولكن أصدقائي أخرجوني من هناك"، وبدا صوته متعبًا وضجرًا. دخل المنزل برفقة ساكرد متجاوزًا لولا التي تبعته ولم تطرح مزيدًا من الأسئلة.

جلس والداه وأخواه في غرفة المعيشة يشاهدون برنامجًا فكاهيًا على التّلفاز وملأت الضّحكات الغرفة دون أيّ قلقٍ على غيابه. جلس والداه على أريكة وكانا يوليانه ظهريهما، وجلس التّوأم على الأريكتين المجاورتين.

التفتت والدته على صوت الباب، وانتفضت من مكانها فور رؤية ساكرد ولوّحت قائلةً: "أخرج هذا الكلب من هنا أيّها السّلحفاة، سوف يفسد البساط".

التفت الآخرون أيضًا.

قالت لولا: "سيفيدنا وجود الكلب في المنزل، فهو يحمي من اللّصوص".

ورمقت فيرجيل بنظرةٍ تفيد بأنها تعرف ما يريد.

قال والده: "تعال وشاهد التّلفاز معنا"، والتفت كي يتابع البرنامج مجدّدًا، من دون أن يزعجه وجود كلبٍ كبيرٍ غريبٍ في المنزل.

اعتدل جوليوس وجوسيليتو في جلستهما كي يلقيا نظرةً على ساكرد.

سأل جوليوس: "ما نوع هذا الكلب؟".

سأل جوسيليتو: "من أين حصلت عليه؟".

قال فيرجيل: "لا أدري، لقد تبعني إلى المنزل".

في تلك اللّحظة، أدرك فيرجيل جمال المنزل وحتّى روعة رائحته، فلم يسبق له أن لاحظ ذلك، وأحسّ بهواء التّكييف يداعب جسده.

التفّت والدته حول الأريكة كي تخرج ساكرد الذي خطا خطوتين ناحية الباب ثمّ خطوتين ناحية فيرجيل، وقد أربكته تحرّكات السّيدة ساليانس الانفعاليّة.

قالت والدة فيرجيل: "إنّه قذرٌ أيّها السّلحفاة، ونتن الرائحة".

وضعت لولا يدها على رأس ساكرد، فوقف ساكنًا.

قالت لولا: "لا يحتاج سوى إلى الاغتسال، وهذا ما سيقوم به فيرجيل، أليس كذلك يا فيرجيلو؟". ثمّ أمسكت ذقن فيرجيل ونظرت إليه نظرةً فحواها: "أنا أفهمك".

تفهم ماذا؟

سمع صوت روبي تقول: "*تفهم أنّك لست فيرجيل ذاته، افتح عينيك يا بایاني*".

أغمض فيرجيل عينيه وفتحهما مجدّدًا، ووضع يده فوق رأس ساكرد، إلى جوار يد لولا.

أخبر فيرجيل والدته: "أتمنّى أن تكفّي عن دعوتي بالسّلحفاة، تستطيعين مناداتي فيرجيل، أو فيرجيلو، أو بایاني، وتجنّبي اسم السّلحفاة تمامًا".

أوقفت والدته حركاتها المذعورة ورمقته بنظرة لم يسبق له أن رآها في عينيها، هل كانت غضبًا، أم حزنًا، أم صدمة؟

قالت روبي: "*إنّها المرّة الأولى التي تراك فيها يا بایاني، هذا كلّ شيء*".

رفعت والدته سبابتها ووضعتها على رأسها وقالت: "حسنًا يا فيرجيلو".

42
الرّسائل

استهلكت محادثتي مع كاوري ثلاثًا وسبعين رسالةً نصية تناولنا فيها خطّة شراكتنا المهنيّة التي ستكون باسم تاناكا وسومرسيت. وأردت أن أقترح عكس ترتيب الكلمات كي تصبح سومرسيت وتاناكا، إذ شعرت أنّه ذو وقعٍ أجمل، ولكنني تجنّبت ذلك نظرًا إلى أنّ هذا الشّراكة فكرتها، فضلًا عن أنها الخبيرة بيننا، وبالتّالي يجب أن يأتي اسمها أوّلًا.

هناك ثلاثٌ وسبعون رسالةً على هاتفي اليوم.

والذي لم يكن فيه سوى اثنتي عشرة رسالةً فقط ومعظمها من والدتي.

اقترب منتصف اللّيل، وخيّم الظّلام على غرفتي باستثناء ضوء هاتفي. بدأت أتثاءب وقرّرت وكاوري أن نكمل حديثنا غدًا، ولكننا وضعنا أسسًا متينةً من أجل عملنا، وستكون خطوتنا التّالية هي البحث عن زبائن.

أردت أن أطرح عليك سؤالًا واحدًا قبل أن ننهي حديثنا.

ما الأمر الذي تحدّثت وجين عنه قبل الذّهاب إلى البئر؟ أخبرتني أنني سأفهم الأمر بعد إيجاد فيرجيل.

التزمت كاوري الصّمت فترةً طويلةً، أو بدا أنّها فترةٌ طويلة، وأخيرًا أجابتني.

سيفصح الكون عن أسراره عندما يرغب في ذلك.

أدركت وجوب أن أتعلّم قول عباراتٍ كهذه نظرًا إلى أنني شريكتها في العمل، أو أن أفهم معناها على الأقلّ، ولكنني ظننت أن لديّ فكرة عن الموضوع، إذ يشبه حديثي إلى القدّيس رين تقريبًا.

لا أدري إن كان القدّيس رين يصغي إليّ، أو يستطيع الإصغاء، ولكن جلّ ما أعرفه الآن أنّه غير موجودٍ الآن، وأنني أتحدّث إلى الفراغ.

ولعلّه في مكانٍ ما يسمعني ويجيبني ويساعدني.

من يدري؟

وضعت الهاتف على صدري، وهززت كرة الخفافيش الزّجاجيّة وراقبت الخفافيش تتطاير في أنحائها حتّى استقرّت في القاع. أتمنّى أن أصبح مستكشفةً، إنّ البئر شكلٌ من أشكال الكهوف، أليس كذلك؟

أغمضت عينيّ، وتذكّرت أحداث اليوم، كانت المرّة الأولى التي أساعد فيها ضحيّة عضة أفعى، وأخرج فتىً من بئر، وأزور وسيطةً روحانيّة، وقد حصل كلّ هذا في يوم واحد. لقد حدثت أشياء كثيرة. إنّ الحياة مضحكةٌ أحيانًا.

وجدت اثنتي عشرة رسالةً نصّيةً على هاتفي في الأمس.

واليوم توجد ثلاث وسبعون.

أنا أفكّر في كلّ شيءٍ حتّى حبل قفز جين، إذ تصوّرته متدلّيًا من درجة السّلّم الأخيرة تلك، وفكّرت كم عامًا سيمضي عليه قبل أن يهترئ ويختفي ويزول من الوجود؟ أو لعلّه سينقذ ولدًا آخر بعد مئة عامٍ من الآن تساءلت عن شكل الفتى الجديد الذي سيعلق هناك، وربّما تكون فتاةً، وسيعجزان عن الخروج قبل رؤية الحبل وسيتساءلان عن كيفيّة وصوله إلى هناك من دون أن يعلما سرّه، وسيعتقدان أنّ القدر ساعدهما.

سيبعث الحبل الورديّ نوره وسط ظلام البئر الدّامس.

أحببت تلك الفكرة.

شعرت وكأنّنا تركنا إرثًا للأجيال القادمة.

لست متأكّدةً ولكنني أعتقد أنّ كابوسي لن يراودني هذه اللّيلة، ولا تسألني كيف عرفت ذلك، ففي بعض الأحيان لا يكون هناك تفسير.

فكّرت في ليليبوت، وجوليفير أيضًا، وتساءلت إن كانت والدتي ستوافق على طلبي في الحصول على خنزيرٍ غينيّ آخر.

فكّرت في ساكرد، وفي ما يفعله في تلك اللّحظة.

فكّرت في فيرجيل أيضًا، ولون الاحمرار الذي امتدّ إلى وجهه، والتزامه الصّمت، وكيف بدا في صورتهم العائليّة وكأنّ والديه أجبراه على التقاطها، ولعلّ هذا ما حدث فعلًا.

دفعني التّفكير بفيرجيل إلى التّفكير في لولا التي قالت: "فالنسيا من إسبانيا". ذكّرت نفسي أن أتعلّم المزيد عن كاتدرائيّة فالنسيا. لقد أخبرتني أنّها مكانٌ مهمّ، فتساءلت عن السّبب إذ بدت تعي ما تقول تمامًا.

حاولت تخيّل شكل الكاتدرائية، وفكّرت إن كنت سأزورها يومًا.

تثاءبت مجدّدًا.

ما زالت عيناي مغمضتين، وشعرت أنني أغوص في أعماق النّوم، وأوشكت على ذلك قبل أن يوقظني شيءٌ ما. فتحت عينيّ ونهضت سريعًا، وبدا أنّ ضوءًا ينير الغرفة، وتبيّنت بعد برهةٍ أنّ هاتفي يهتزّ.

لا بدّ أن كاوري نسيت إخباري شيئًا.

أمسكت الهاتف، وآلمتني عيناي من شدّة إضاءة الشّاشة.

أشارت السّاعة إلى الثّانية عشرة وثلاث وثلاثين دقيقةً بعد منتصف اللّيل.

رأيت رسالةً واردةً من رقم لولا، ولكنني أدركت مباشرةً أنّها ليست لولا.

بعد لحظاتٍ استيقظت تمامًا.

حدّقت إلى الكلمة الوحيدة على الشّاشة، وانتابني إحساسٌ غريبٌ لسببٍ ما، وارتبكت كثيرًا.

كُتب في الرّسالة:

مرحبًا.

Notes

[1←]
الخنزير الغيني حيوان يشبه الهامستر تقريبًا، ولكنّهما مختلفان.

[2←]
كهوف الكريستال.

[3←]
واحدة من أقدم شركات الحلويات في الولايات المتّحدة.

[4←]
تتألّف هذه اللّعبة من أعمدة شاقولية وأفقية يتسلّقها الأطفال.

[5←]
آلة موسيقيّة تشبه النّاي.

[6←]
غرفة دراسيّة علاجيّة منفصلة حيث يخضع فيها الطّلاب ذوو المشاكل التّعليمية إلى تعليم مباشر وخاص إضافةً إلى علاجٍ أكاديميّ.

[7←]
عالم نفس نمساوي. عُرف بتفسير الأحلام والتحليل النفسي. وكان يرجع معظم العقد النفسية إلى عالم الطفولة.

[8←]
أُجريت محاكمات في تلك المدينة ضدّ السّحرة وأعدم فيها عشرون شخصًا معظمهم من النّساء.

[9←]
الوقت الذي تقام فيه إحدى بطولات كرة السّلة.